السبت 4 كانون الأول 2021
العدد 4505 السنة السادسة عشرة
Samedi 4 Décembre 2021 nº 4505 16ème année

24 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

فيسوافا شيمبورسكا
شاعرة اللغة المرسومة

هل تفتح الخطوة الباب أمام تسوية بقيّة الملفات المانعة لانعقاد الحكومة؟

قرداحي استقال... فلننتظر الرد السعودي [2]

الاستثمار في الـ pcr
شركات الطيران تنصب على الجامعة
[4]

(أرشيف ـ مروان طحطح)

تحقيق

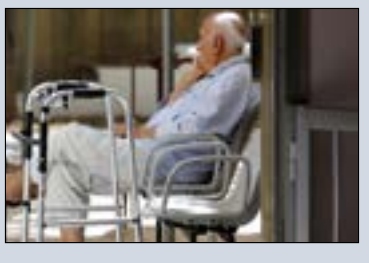

دور رعاية المسنّين بلا رعاية

5

قضية

الذئب الاسرائيلي يكافح الجريمة

10

قضية

البوسنة والهرسك
استعادة كوابيس الحرب

14

المشهد السياسي

هل تفتح الخطوة الباب أمام تسوية بقيّة الملفات المانعة لانعقاد الحكومة؟

قرداحي استقال... فلننتظر الرد السعودي

مع تقديم وزير الإعلام جورج قرداحي استقالته من الحكومة، لا يمكن إغفال عدد من التطورات. قد لا توّتي هدية لبنان إلى المملكة العربية السعودية أُكلها، لكنها في الداخل قد توّفر انطلاق مسار سياسي جديد

المبادرة الخاصة جدّاً التي قام بها وزير الإعلام جورج قرداحي، بالاستقالة من الحكومة لفتح الباب أمام معالجة للأزمة مع السعودية ودول خليجية، تنتظر أن يلاقيها الطرف الآخر، وسط تباين في التقديرات حول ما يمكن أن تقوم به الرياض ردّاً على هذه الخطوة، ووسط مخاوف من استمرار موقفها من دون أيّ تصعيد في الخطوات الإجرائية، مقابل أن تتراجع دول خليجية أخرى عن إجراءات اتخذتها بتجميد العلاقات مع لبنان.

لكن الأمر ظلّ يلقي بظلاله على غياب الاستراتيجية اللبنانية الموحّدة حيال ملفات حساسة أبسط من الاستراتيجية الدفاعية التي يطالب بها خصوم المقاومة، إذ إن «الانهيار» أصاب مواقع رئيسية في البلاد حيال المطالب السعودية والاستجابة الضمنية للضغوط التي جاءت من الأوروبيين أيضاً، علماً بأن الجميع يعرفون أن القدرة على إدخال تحوّلات كبيرة في الموقف السعودي من لبنان ليست في متناول اليد الآن، بل إن الرياض تبدو مستمرة في التصعيد ريثما

> **استقالة قرداحي تريح فرنجية محلياً وخارجياً وانتخابياً**

تتمكّن من تحقيق توازن على أكثر من صعيد.

ومع ذلك، فإن الخروج «الطوعي» لوزير الإعلام من الحكومة خلط الأوراق من جديد. تكاتف فرنسا مع رئيس الحكومة نجيب ميقاتي ترافق مع «قبّة باط» سياسية داخلية جاءت من معظم القوى والمرجعيات. وبينما حاول البعض رمي الكرة في ملعب حزب الله، فإن الجميع يعرفون حقيقة موقف الحزب الذي بقي مصرّاً على احترام قرار قرداحي، مع الاستعداد للوقوف إلى جانبه لو قرّر المضيّ في المعركة. لكنّ الآخرين، جميعاً وبلا أيّ استثناء، كانوا في مكان آخر، وعملوا، كل من جانبه، على ممارسة أشكال مختلفة من الضغط على قرداحي لأجل تنفيذ الاستقالة. ومع ذلك، يتصرّف الجميع على أن الاستقالة أمّنت انطلاق مسار جديد في البلد. استعان ميقاتي بـ«الصديق» الفرنسي على الداخل، ونجح الرئيس إيمانويل ماكرون في انتزاع «هدية» يدخّل بها على مُضيفه في الرياض.

السؤال عن السبب الذي دفع القوى السياسية إلى ترك قرداحي «على هواه» يتراجع أمام الاستفسار عن «الثمرة» التي سيجنيها لبنان، وخاصّة أن «المطلوب رضاه» لا «مسامح ولا كريم»، فهل حصل لبنان على ضمانات بأن تدفع هذه الخطوة السعودية إلى أن تُعيد النظر بتصعيدها؟

الإجابة عن هذا السؤال قد تكون في ما قاله قرداحي في مؤتمره الصحافي، ولعلّه المختصر الأهم: «نحن اليوم أمام تطوّرات جديدة، والرئيس الفرنسي ذاهب إلى السعودية بزيارة رسميّة، وفهمت من رئيس الحكومة للاتصالات إن الاستقالة، لا شك، ستشكّل إرباكاً للسعودية لجهة التعامل معها؛ إذا قبلت الرياض الهدية وتراجعت عن إجراءات التصعيد، فسيظهر بأن حجم ردة فعلها على تصريح وزير لا يتناسب وحجمها كدولة. أمّا في حال رفضت المبادرة اللبنانية تجاهها، فيتأكد حينها بأن للمملكة أجندة للانتقام من لبنان، وسيجرح ذلك أصحاب حملة التهويل على وزير الإعلام والذين سعوا طوال الفترة الماضية إلى تحميله المسؤولية.

أمّا داخلياً، فإن الجميع يسعون في استثمار الخطوة، كل من وجهة نظره. رئيس الحكومة، الذي يتعرّض للضغط الفرنسي وبواجه الكراهية السعودية، يريد «فكّ العزلة» التي تواجه حكومته، وقد يسعى إلى استثمار الأمر من أجل إعادة تفعيل الحكومة، ولو أنه يحتاج إلى تسويات أخرى ذات طبيعة سياسية

يقول متابعون للاتصالات إن الاستقالة سنشكّل إرباكاً للسعودية لجهة التعامل معها (هيثم الموسوي)

وأكثر تعقيداً ربطاً بمطالب الثنائي الشيعي وتيار المردة بما خص التحقيق في ملف المرفأ.

كذلك، ظهر أن سليمان فرنجية، نفسه، والمحطين به، ولا سيما نجله النائب طوني، يتصرّفون على قاعدة أنه «همّ وأزيح» ربطاً بالمسائل المتعلّقة بواقعهم الانتخابي، من جهة، وحتى استثمار الأمر من أجل إعادة تفعيل الحكومة، ولو أنه يحتاج إلى تسويات أخرى ذات طبيعة سياسية

في الواجهة

استحقاقا 2022: حسابات الرئاسية لا تصنعها النيابية

يتعامل الافرقاء مع ارقام ناخبي الانتشار كأنها لكل منهم. يقرأونها ويؤولونها ويجتهدون في تفسيرها على انها ستقودهم الى مقاعد معززة لكتلهم الحالية في البرلمان. هيئات المجتمع المدني المنخرطة في المواجهة مع الطبقة السياسية الحاكمة تفكر منذ اولئك

نقولا ناصيف

كل من الكتل الرئيسية المعنية بأحجامها في مجلس النواب، وكذلك هيئات المجتمع المدني، يتفق على ان الاقتراع القاري في الانتخابات النيابية المقبلة سيحدث صدمة لمَن سيربح، كما لمَن سيخسر. كل منهم يدلّ باصبعه على الآخر هو الخاسر. يستعجلون تقديراتهم وتوقعاتهم، قبل التأكد من ان الانتشار سينتخب للمقاعد الـ128 على نحو ما يأملون فيه - وبينهم مَن يزعم - وقبل ان يصدر المجلس الدستوري قراره في هذا الجانب في مراجعة الطعن في قانون الانتخاب بين يديه.

الى حين الوصول الى هذا القرار، لا تعدو الخيارات المتداولة بين الحلفاء، كما بينهم والخصوم، سوى تكهنات متساوية الحظوظ: اقتراع الانتشار لـ28 نائباً، او اقتراعهم للدائرة الـ16 المحدثة بستة نواب، او تمديد ولاية البرلمان.

كل ذلك، وحده، لا يجعل انتخابات 2022 مهمة بالقدر المحسوب، الا لانها ستصادف خصماً آخر على الطريق، هو انتخابات رئاسة الجمهورية.

مع انها ليست المرة الاولى يتقاطع اجراء الانتخابات النيابية مع انتخابات رئاسة الجمهورية، لكن التجربة الجديدة تبدو مختلفة عن سابقاتها. عام 1943 فُصل ما بين انتخابات المجلس والرئاسة 16 يوماً، وعام 1964 فُصلت ما بينهما ثلاثة اشهر. عام 1957 فُصل ما بينهما اكثر من سنة بقليل. عام 2022 لا يتجاوز الفصل ما بين الاستحقاقين سبعة اشهر حداً اقصى، وخمسة اشهر حداً ادنى، تبعاً لأحد الموعدين المفترضين لاجراء الانتخابات النيابية في آذار او في ايار. يحمل ذلك الكتل الرئيسية على ربط اولهما بثانيهما كما لو ان الترابط حتمي ومثمر، وانتصار احدهم في الاول سيقود الى انتصاره في الثاني.

وهو مغزى القراءة المتأنية لزعماء الكتل الرئيسية أرقام ناخبي الانتشار التي تبقى غامضة، ايا تكن ادعاءات تطميناتهم وايحاءاتها، ومن شأنها احداث اكثر من مفاجأة، من غير ان يخفوا توجّسهم، يأخذون في الاعتبار ان التصويت القاري المقبل سيكون مشابهاً بكليته لما حصل في انتخابات 2018. حينذاك نالت الاحزاب والشخصيات المكمّلة لها الدائرة في فلكها الحصة الكبرى التي بلغت 95 في المئة، فيما لم يحز مرشّح المجتمع المدني سوى على 2370 صوتاً منتشراً، بنسبة بالكاد تمثّل 5 في المئة من مجموع المقترعين الـ46 ألفاً و799، فغدا تصويت الانتشار اداة معزّزة لاصوات الاقتراع الوطني. عامل المفاجأة الذي يتحسّبه كل من الكتل الرئيسية، ناجم هذه المرة عن احتمال تأثر الاقتراع القاري بسياسات الدول التي يقيم المقترعون فيها، ما يفضي حكماً الى تصويت سلبي.

في صلب ترابط انتخابات البرلمان بالرئاسة، في المدة الفاصلة ما بينهما، في معزّل عن انتخاب رئيس جديد للجمهورية او عدمه، اعتقاد الكتل الرئيسية ان الاحجام التي ستخرج بها من الانتخابات النيابية ستجعلها إما ناخباً قوياً او مرشّحاً قوياً، وتالياً تعذّر امرار الاستحقاق الرئاسي من دونها. رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع يتوقّع منها كتلة اكبر مما لديه الآن، وهو ما يعلنه ونوابه على الملأ. كذلك يفعل النائب جبران باسيل الذي يفترض - وإن بياس تحت وطأة العقوبات الاميركية - ان عليه تلقف الفرصة الاستثنائية التي اتاحها له وجود رئيس الجمهورية ميشال عون في المنصب كي يخلفه. اما ثالثهما النائب السابق سليمان فرنجيه، فيبدو اكثر تواضعاً. يعرف ان كتلته الصغيرة يصعب ان تكبر. يعرف اكثر بحكم المراس والخبرة والتاريخ المستوحى من جدّه الرئيس الراحل سليمان فرنجيه، ان الكتلة النيابية لا تصنع منه رئيساً، وليست هي التي صنعت زعامة الجدّ ولا رئاسته، بل التحالفات.

سرّ هذا التواضع سبق ان عبّر عنه فرنجيه بوضوح، عندما رشحه الرئيس سعد الحريري عام 2015 لرئاسة الجمهورية. حينذاك، دفاعاً عن هذا الترشيح قبل ان يخذله حزب الله، قال انه يملك في البرلمان اكثر من 70 في المئة من الاصوات ضامنة فوزه، قاصداً بذلك حلفاءه الثنائي الشيعي والحريري والنائب السابق وليد جنبلاط، مستثنياً التيار الوطني الحر وحزب القوات اللبنانية. في ما بعد، في جلسة انتخاب عون في 31 تشرين الأول 2016، صبّت الـ70 في المئة من الاصوات للرئيس الحالي. ليست الـ70 في المئة من الاصوات هذه التي تقفز حتماً عن نصاب الثلثين للانتخاب، الا دليل التسوية التي ترعى دائماً انتخاب الرئيس، على غرار انتخابات 2016، ومن قبلها انتخابات 2008.

في انتخابات 2008، ثم من بعدها 2016، لولا التوافق الشيعي - السنّي لما انتخب الرئيس الماروني. هي ايضاً القاعدة المطبّقة على شغور الرئاسة ايضاً. رغم فارق المدد ما بين شغوري 2008 و2014 - 2016، مع الاول ستة اشهر ومع الثاني سنتين وخمسة اشهر، تعذّر التوافق السنّي - الشيعي مثلما تعذّر انتخاب رئيس للدولة، في المرة الاولى كان الثمن دموياً في شوارع بيروت، وفي المرة الثانية التسوية الرئاسية الجانبية المبرمة والمكلفة. ظل الحريري يرفض انتخاب عون الى ان سلّم به. اذذاك

> **كل من الكتل يقرأ ارقام ناخبي الانتشار على انها له**

حصل الانتخاب. سبقت مصالحة معراب بين التيار الوطني الحر وحزب القوات اللبنانية، في كانون الثاني 2016، انتخابات الرئاسة بـ10 اشهر، بيد انها لم تضف الى ترشيح رئيس التيار وقتذاك سوى تأييد جعجع له فحسب. عندما التحق الحريري بخيار حزب الله، اضحى عون رئيساً للجمهورية.

ليست كتلته المسيحية الكبيرة حملته الى الرئاسة، او فرضت انتخابه، بل تحالفه مع حزب الله الذي كان يحتاج - وهو يشارك في لعبة تمديد عمر الشغور ما بين عامي 2014 و2016 - الى الرئيس الذي يطمئنه، على نحو ما وجد فيه الحريري انه الوحيد الذي يبقيه في السراي طوال العهد الجديد. هي أدّت لعبة التحالف، لا العدّ على الاصابع.

ما يجري الآن، ليس سوى افراط الكتل في التعويل على احجامها المقبلة. كل منها يريد ان يكون اكثر من ناخب كبير. ربّما يصح ان الحجم الوحيد القادر على تحريك خيوط الدمى الاخرى، هو الثنائي الشيعي بالدورين البالغي الاهمية اللذين تمنحه اياهما انتخابات رئاسة الجمهورية: ان تضع في يد رئيس المجلس نبيه بري صلاحية تحديد الموعد وتوجيه الدعوات مرة بعد اخرى الى جلسة الانتخاب من اجل ابقاء الاستحقاق تحت سلطة المادة 73 فلا يقفز الى المادة 74، وان تضع بين يدي حزب الله ادارة موازين القوى التي يشكل عامودها الفقري ومن حوله يترنح حلفاؤه.

بذلك، خلافاً لما يذهب اليه باسيل وجعجع في الاتكال على انتفاخ كتلهما، يذهب حزب الله الى ما اهم من التفاصيل تلك: ابقاء الاكثرية المقرّرة في عهدته.

تفرط الكتل في توقع انتفاخ احجامها في الانتخابات النيابية (هيثم الموسوي)

حقّ الردّ

توضيح من الجميّل

توضيحاً للخبر الذي أوردته «الأخبار» تحت عنوان «يمنى الجميّل مرشّحة في زحلة... والمسيحيون «لَعِبَنا»» (2021/12/2)، والذي ورد فيه أنّه لدى سؤال أحد المشاركين يمنى الجميّل عن اللامركزية، أجابت بأنها «تعني تجميع المسيحيين في جبل لبنان، ولكن فقط بعد نيل موافقة مسيحيّي الأطراف على بيع أملاكهم والنزوح لعندًا». يهمّنا الإشارة إلى أنّ اللقاء الذي شاركت فيه الجميّل كان محوره الانتخابات النيابية وحمل عنوان «أي لبنان نريد؟»، والصحيح أنّه لدى سؤالها عن رأيها بمسألة الفيدراليّة، أبدت تأييدها للّامركزية الموسّعة ضمن الحياد الإيجابي الذي تنادي به بكركي، أما بالنسبة إلى مشروع الفيدرالية فقد أبدت الجميل خشيتها من أن يمسّ هذا المشروع مصالح مسيحيّي الأطراف وذلك من خلال دفعهم إلى بيع أراضيهم والانتقال إلى جبل لبنان وهذا ما ترفضه الجميل جملة وتفصيلاً، وحذّرت من عقد أيّ اتّفاق من دون مشاورة هذه الشريحة من اللبنانيين التي تؤمن مثلما تؤمن يمنى الجميّل بلبنان الـ10452 كلم مربّعاً فوق أيّ اعتبار آخر.

أمّا ما أتى ضمن هذا المحور من الخبر، فنلفت إلى أنّه عارٍ عن الصحة ويأتي من خارج سياق الحديث الحاصل في اللقاء.

يمنى بشير الجميل

علم وخبر

«مطرودة» من وزارة المال مستشارةً للوزير

عيّن وزير المال يوسف خليل الموظّفة السابقة في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في لبنان كلودين كركي صليبا مستشارة له في السياسات الضريبية. علماً أن كركي كانت قد فُصلت من وظيفتها في وزارة المالية، قبل سنوات، بقرار من نيويورك بعد تحقيقات أجراها رئيس برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في الوزارة طلال سلمان، أظهرت أنها كانت مسؤولة عن تسريب برامج تستخدمها الإدارة الضريبية لمصلحة شركة «انفنتس» التي يملكها الوزير السابق جهاد أزعور (تسلّمها سامي حداد بعد تعيين أزعور في صندوق النقد)، وأن وزارة المال في حكومة إقليم كردستان، التي تعمل الشركة لمصلحتها، تستخدم البرامج نفسها التي تستخدمها وزارة المال اللبنانية، والتي كلّفت لبنان عشرات ملايين الدولارات. وأوضحت التحقيقات أن كركي ساهمت، بالتعاون مع موظف آخر في البرنامج، في نقل الإعدادات الخاصة ببرنامج الإدارة الضريبية في لبنان إلى أربيل، عبر شركة «انفنتس»، ما وفّر على الأخيرة مبالغ طائلة كانت ستتكبّدها لإجراء إعدادات جديدة للبرنامج في أربيل تنفيذاً للعقد الموقّع مع وزارة المال الكردستانية. وورد في التحقيقات أن الموظّفَين سرّبا كلمات السر الخاصة بشركات لبنانية وغير لبنانية تعمل في لبنان.

«الأخبار» حاولت الاتصال بوزير المال لسؤاله عمّا إذا كان على علم بما نسبته التحقيقات إلى الموظّفة التي عيّنها مستشارة له بعد طردها من الوزارة منذ سنوات، إلا أن الوزير لم يجب علماً أن خليل عيّن أيضاً موظّفة أخرى في شركة «انفنتس» مستشارة اقتصادية.

أي تخمين للعقارات المستردة مقابل الديون؟

يشهد القطاع المصرفي موجة تنازل من المقترضين المتعثّرين عن عقاراتهم لمصلحة المصارف مقابل شطب الديون. هذا الأمر خلق مشكلة بين المصارف ولجنة الرقابة على المصارف حول تخمين هذه الأصول وسعرها الحقيقي وما إذا كان يكفي لشطب الدين وفوائده. فتخمين قيمة هذه العقارات بالدولار النقدي في السوق الحرّة يختلف عن قيمتها بالدولار المصرفي المحجوز (يساوي 3900 ليرة حالياً)، فضلاً عن عدم وضوح معايير التخمين. ورغم أن لجنة الرقابة على المصارف تكلّف خبيرين للقيام بالتخمين، إلا أن التأخير في بتّ طلبات المصارف مرتبط بتعيين «ثلاثة أو أربعة خبراء» للوقوف على التخمين التقديري للقيم التي سيتم استردادها مقابل الديون.

على الغلاف من اتعاب الجامعة اللبنانية، «تطفئ» شركات الطيران «خسائرها» الناجمة عن احتجاز أموالها في المصارف. بـ«سلاسة» مفرطة، تدفّع الشركات المسافرين 50 دولاراً بالعملة الصعبة أو ما يوازيها بالليرة على أساس سعر صرف السوق بدل فحوص الـpcr، تدفع منها للجامعة اللبنانية بدل اتعابها المحدّدة 45 دولاراً... شيكاً مصرفياً تتقاضاه وفق سعر المنصة، أي ما لا يزيد على 176 ألف ليرة!

الاستثمار في الـ pcr
شركات الطيران تسرق أموال «اللبنانيّة»

راجانا حميّة

تعرف شركات الطيران من أين تؤكَل الكتف. وتعرف، في عزّ الأزمات الاقتصادية، كيف تحافظ على أرباحها، بل وتزيدها، بـ«ابتكارات» وأساليب تتضمّن ابتزازاً وتذاكياً وتحايلاً على القوانين. حتى أزمة «كورونا» التي أثّرت سلباً على سوق السفر العالمي، حوّلتها هذه الشركات في لبنان إلى «فرصة استثمارية»، مستفيدة من إجراءات فرضتها وزارة الصحة في مطار بيروت الدولي لمواجهة الجائحة.

من بين هذه الإجراءات فحوصات الـpcr التي ألزم المسافرون بإجرائها لدى وصولهم إلى المطار مقابل 50 دولاراً تُضاف إلى سعر بطاقة السفر. وتولّت الجامعة اللبنانية تأمين الكادر اللازم لإجراء الفحوصات، وفق اتفاق بينها وبين وزارة الصحة والمديرية العامة للطيران المدني، يقضي بحصول الجامعة على 45 دولاراً من الـ 50 دولاراً، فيما تذهب الدولارات الخمسة المتبقّية لحساب الوزارة. ونصّت الآلية على أن تحوّل شركات الطيران بدل الـ pcr إلى شركتَي الخدمات الأرضية (الشركة اللبنانية للنقل lat وشركة الشرق الأوسط للخدمات الأرضية meag)، على أن تحول هاتان الشركتان

> **منذ تموز الماضي أكلت الشركات نحو 80% من أتعاب الجامعة**

المبلغ إلى حساب محتسب الجامعة اللبنانية في مصرف لبنان.

بداية، سارت الأمور على ما يرام، وكانت غالبية شركات الطيران تفسح المجال أمام المسافرين للدفع بشيكات مصرفية، وتحوّل إلى شركتَي الخدمات الأرضية شيكات مصرفية بالدولار من حساباتها في المصارف لتحويلها إلى حساب الجامعة اللبنانية في المصرف المركزي، بعد تدقيق وزارة الصحة. وكانت الجامعة تتقاضى الشيك المصرفي (بالدولار) من المركزي على أساس سعر المنصة (3900 ليرة)، من دون أن يشكّل ذلك عائقاً، خصوصاً أن سعر المنصة («كان قريباً من سعر صرف الدولار في السوق الموازية (6 آلاف ليرة)»، بحسب مصادر الجامعة. في تموز الماضي، اتّخذت شركات الطيران قراراً بتقاضي أسعار تذاكر السفر بالدولار الـ«فريش» أو ما يعادله بالليرة على أساس سعر الصرف في السوق الموازية. هكذا، وجدت الجامعة نفسها أمام معادلة خاسرة: الشركات تقبض بالدولار الطازج، وتحيل إلى حسابها في المركزي شيكاً مصرفياً بدل اتعابها تتقاضاه على أساس سعر غير عادل لا يزال متوقّفاً عند 3900 ليرة، في الوقت الذي كان قد بلغ فيه الدولار في تموز الماضي 18 ألفاً!

في المبدأ، تبيع الشركات تذاكر السفر للمسافرين ومن ضمنها بدل فحص الـpcr بالدولار الأميركي الطازج أو ما يعادله بسعر السوق السوداء في اليوم الذي يتمّ فيه حجز التذكرة. ورغم أن تلك الكلفة، بحسب الاتفاق، تعود إلى الجامعة اللبنانية ووزارة الصحة، إلا أن شركات الطيران ارتأت أن تطفئ خسائرها في المصارف من أتعاب الجامعة. هكذا، وبدلاً من أن تحول المبلغ كما حصّلته إلى شركتَي الخدمات الأرضية، تحتفظ بالدولار الـ«فريش» وتحوّل من حساباتها العالقة في المصارف شيكات بالدولار، ما يعني أن الجامعة ستقبض الـ45 دولاراً من حسابها في المركزي على أساس أنها 176 ألف ليرة. والمفارقة أن «اللبنانية» لم تتقاضَ فلساً واحداً من أتعابها منذ تموز الماضي. ولئن كان التأخر في قبض الأتعاب «ليس إشكالية في حد ذاتها، خصوصاً أن دونه ذلك دورة طويلة من التدقيق وقد تتاخر لشهرين أو ثلاثة»، على ما يقول رئيس الجامعة اللبنانية السابق فؤاد أيوب، تكمن الإشكالية في مكان آخر: «في الغبن الذي يلحق بالجامعة من شركات الطيران». وبحسبة بسيطة، فبحسب مختبرات الجامعة اللبنانية، يبلغ العدد التقريبي لفحوص pcr خلال الفترة الفاصلة بين تموز وتشرين الثاني مليون فحص. وإذا طبّقنا سعر صرف الدولار اليوم المقدَّر بـ24 ألف ليرة تقريباً، تكون الشركات قد دفّعت المسافرين نحو ألف و200 مليار ليرة! وفيما لو ارادت أن تعطي الجامعة «حصتها» البالغة 45 دولاراً، فبدلاً من أن يساوي «حقها» ألفاً و80 مليار ليرة، ستتقاضى 175 ملياراً و500 مليون ليرة، أي عملياً تكون الشركات قد أكلت من أتعاب الجامعة نحو 80%!

ولأن الغبن فاق كل الاحتمالات، أحال محامي الجامعة أخيراً كتاباً إلى المديرية العامة للطيران المدني للمطالبة بالاتعاب بالدولار الطازج أو ما يعادله بالليرة، «إلا أننا لم نتلقَّ أي جواب حتى اللحظة»، على ما تقول مصادر الجامعة. وإن كان رئيس مطار بيروت الدولي، فادي الحسن، يعتبر أن «الدولار دولار وما في شي اسمو فريش أو مش فريش»، مشيراً إلى أنه حتى في نص الاتفاق ذكر المبلغ بالدولار، من دون أن يرفق بأي توضيح آخر. بحسب الحسن، بالنسبة إلى الشركات «الدولار لم يتغير، وهذه الأخيرة لديها حسابات في المصارف تتصرّف بها»، مؤكداً من الجهة الأخرى أن «لا علاقة للمديرية العامة للطيران بالتحويل والموضوع بكليته عند شركات الطيران».

صحيح أن الدولار دولار، إلا أنه في عزّ الأزمة التي تمر بها البلاد، لم تعد تلك المقولة واقعية، خصوصاً إذا ما أخذنا في الاعتبار «تنصيبة» الشركات. فهي إذ تُحصّل من المسافرين الـ50 دولاراً بقيمتها الأصلية أو بالليرة وفق سعر السوق السوداء وتعمل على تحويلها إلى حساباتها في الخارج، فيما تقوم بدفع أتعاب الجامعة بشيك مصرفي من حساباتها المحتجزة في البنوك. هكذا، تعوّض خسائرها في المصارف اللبنانية بـ«سرقة» الجامعة اللبنانية... بمعيّة شركات الخدمات الأرضية. والسؤال هنا: لماذا لا يؤخذ من المسافرين بالقيمة نفسها التي يُدفع فيها للجامعة؟ ومن المستفيد أيضاً من هذه الأموال، إضافة إلى الشركات؟

> **الـpcr من 50 دولاراً إلى 30 دولاراً**
>
> في إطار الإجراءات الجديدة التي اتخذتها لمواجهة فيروس كورونا، أصدرت وزارة الصحة، أول من أمس، قراراً عدّلت بموجبه بدل فحص الـpcr للقادمين عبر مطار بيروت الدولي. ويقضي القرار بخفض المبلغ المتوجّب على القادمين من 50 دولاراً إلى 30 دولاراً يدفعه القادمون بواسطة البطاقة الائتمانية. ومن المفترض أن يَلحق هذا القرارَ نقاشٌ لتحديد «حصة» الجامعة منه. وفي هذا السياق، تشير مصادر الجامعة إلى أن المبلغ الذي قد يُحدد للجامعة يتأرجح ما بين 10 أو 15 دولاراً.

(أرشيف ــ مروان طحطح)

تحقيق

انفلات الأمور في لبنان واستقالة الدولة من مهامها يشي وكأننا نعيش في مختبر كبير تطبق فيه، بوحشية، نظرية التطور الداروينية حيث البقاء للأقدر على الصمود. المسنّون، هنا، هم حكماً الحلقة الأضعف. المأوى ودور العجزة تئن، وطلبات اللّجوء إليها تزداد بشكل مطّرد، حتى من غير المسنّين، فيما هي غير قادرة على رعاية نزلائها

الفطور زعتر وتقنين في التدفئة وتقليل «الحفاضات»
دور رعاية المسنّين بلا رعاية

رضا حوايا

«لبنان من البلدان العربيّة التي تشهد انتقالاً ديموغرافياً سريعاً نحو الشيخوخة. وتظهر نتائج المسح الوطني للأحوال المعيشيّة للأسر لعام 2012 ارتفاعاً ملحوظاً في عدد كبار السنّ الذين تتجاوز أعمارهم 65 سنة، لتصل نسبتهم إلى 11,9% من مجموع السكّان المقيمين في لبنان، ويتوقّع أن تتجاوز 14% بحلول عام 2035»، بحسب دراسة «الأولويات الاجتماعيّة والاقتصاديّة لكبار السن في لبنان: سبل العيش بكرامة» (2018) الصادرة عن وزارة الشؤون الاجتماعيّة بالشراكة مع اللجنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لغربي آسيا (الإسكوا).

عليه، ومع الهجرة المتزايدة للشباب وتراجع الإقبال على الزواج بسبب الانهيار الاقتصادي وتدنّي معدلات الخصوبة، فإن من شبه المؤكّد أن لبنان «سيحقّق» رقم الـ 14% المتوقع عام 2035 قبل ذلك بكثير. يعني ذلك أن «ملف المسنّين» يفترض أن يكون في صلب أولويّات الدولة، علماً أنه في ظل الاستمرار في الانهيار فقد يكون من شبه المستحيل تدارك النتائج السلبية لذلك، خصوصاً أن الدراسة نفسها أشارت إلى غياب «قانون خاص بكبار السن في لبنان يشتمل على تعريف لهذه الفئة الاجتماعيّة أو تحديد لحقوقها وللخدمات الحكوميّة المستحقة لها». وفيما يختلف سن التقاعد بين مختلف القطاعات، «فإن إدارة الإحصاء المركزي تعرف كبار السن بأنهم البالغون 65 سنة أو أكثر من العمر».

«نيّال يلّي بيخرف عبكيّر، بريّح راسو. على الأقل ما بعود يشعر بالخجل إنو صار عبء على غيرو»، يقول السبعيني عبدالله، نزيل إحدى مؤسسات الرعاية بالمسنّين التي لم تعد قادرة، في ظل الأوضاع الحالية، على أن تكون اسماً على مسمّى. إذ إن «الرعاية» التي تُقدّم إلى هؤلاء باتت تقتصر على الأساسيات الضرورية للعيش، و«قدرتنا على الصمود شارفت على نهايتها» على ما تقول مديرة إحدى دور العجزة في الشمال. أضف إلى ذلك أن وصف المسنّ ليس مرادفاً للخرف كما هي الصورة النمطية عن نزلاء دور العجزة ومؤسسات الرعاية. إذ إن معظمهم يدركون ما يجري من حولهم، «إلى حدّ أننا اضطررنا لقطع الدش عن الغرف لتجنّبهم الإماً نفسيّة إضافية، والقلق من احتمال فقدان أدويتهم أو عدم القدرة على إدخالهم إلى المستشفيات» وفق مديرة دار للعجزة.

وإذا كانت معظم الدراسات والأدبيات حول كبار السن تستند إلى تعريف إدارة الإحصاء المركزي، إلّا أن أعمار الرجال والنساء الذين باتوا يقصدون المأوى ودور المسنّين باتت تشهد تدنياً ملحوظاً. وتلفت يارا بو عون، مؤسسة جمعيّة «بيت جدودنا» لرعاية المسنين، إلى أن «اتصالات كثيرة تردنا من أشخاص في الخمسينيات والأربعينيات وحتى الثلاثينيات بحاجة لمكان يؤويهم. كثيرون منهم فقدوا أعمالهم ومورد رزقهم ولم يعد باستطاعتهم دفع الإيجارات وتلبية أدنى متطلبات الحياة. لكنني ملزمة، بالقانون، باستقبال الأشخاص الذين تفوق أعمارهم عن الـ64 عاماً، الوضع مأساوي».

وإلى تدهور الظروف المعيشية وارتفاع كلفة الرعاية الصحية وسعر الأدوية، يزيد من الطلب على المأوى «رحيل الآلاف من العاملات الأجنبيات اللواتي كانت نسبة كبيرة منهن تهتم بالمسنين في المنازل» بحسب مالك مارون، المدير التنفيذي في دار الرعاية المارونية، مؤكّداً «أنني أتلقّى أكثر من 10 اتصالات يومياً، والمركز غير قادر على استقبال أي نزيل جديد».

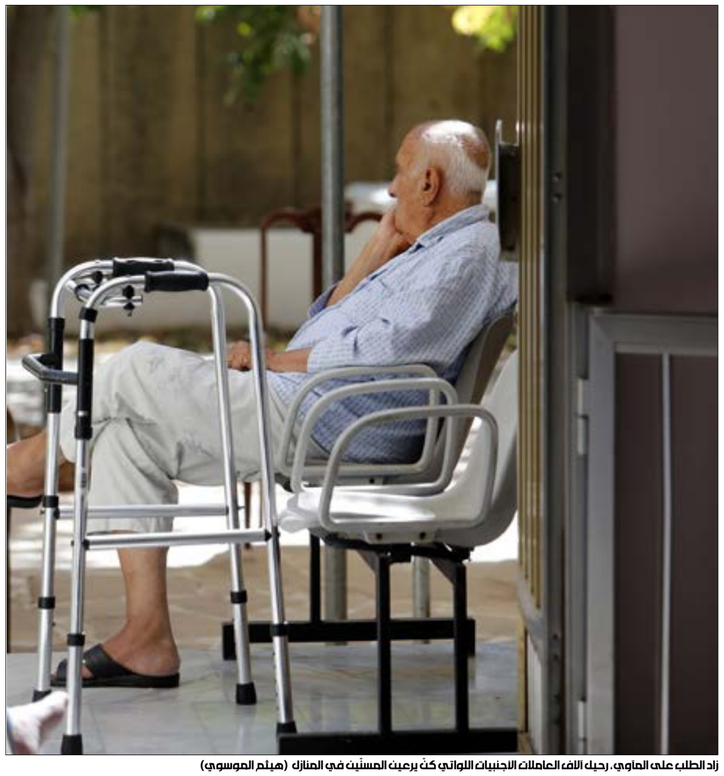

زاد الطلب على العاوي. رحيل الآلاف العاملات الأجنبيات اللواتي كنّ يرعين المسنّين في المنازل (هيثم الموسوي)

وتلفت مديرة إحدى دور العجزة إلى «أننا غير قادرين على قبول أي طلبات إضافية، لكي نحافظ قدر المستطاع على النوعية التي نقدمها للمسنين الذين نرعاهم. أساساً من بإمكانه أن يتحمل تكاليف الماوي؟ نطلب مليون ليرة شهرياً، لكن أحداً غير قادر على دفعها».

الكلفة التي تتكبّدها الماوي ارتفعت بشكل هائل فيما المداخيل «شبه معدومة». إذ يلفت مارون إلى أن «كلفة العناية الشهرية بالمسنّ الواحد ارتفعت إلى حوالى 5 ملايين ليرة، من دون الأخذ في الاعتبار كلفة المستشفى في حال اضطررنا إلى إدخاله إليها، في حين أن ما يفترض أن يصلنا من وزارة الشؤون الاجتماعيّة عن المسّ لا يتعدى 525 ألف ليرة شهرياً. إذ تدفع الوزارة للمسنّ، علماً أن وزارة الشؤون لم تدفع لنا أي مستحقات منذ عامين». والأمر نفسه ينطبق على وزارة الصحة، «التي تدفع 26350 ليرة كبدل يومي عن المسّ، ارتفع إلى 52 ألف ليرة مع بداية الشهر الماضي، ولا تتقاضى المستحقّات إلا كل عامين. هذه المبالغ لم تكن تكفينا لرعاية المسنين على أيام الـ 1500، فكيف اليوم؟ مع العلم أن عقد الرعاية يكون إما مع وزارة الصحة أو مع وزارة الشؤون الاجتماعية، ولا يمكن للمسن الاستفادة من عقدَي رعاية في الوقت نفسه».

> **5 ملايين ليرة كلفة العناية بالمسنّ شهرياً تدفع منها وزارة الشؤون 525 ألف ليرة**

غياب وزارة الصحة ينسحب على الاستشفاء «الذي يعد مصدر الخوف الأكبر. لا يوجد أي شيء اسمه تغطية 100%. في حال كان للمسن أقارب يسألون عنه وقادرون على دفع فرق الاستشفاء، وفي حال العكس نتحمل نحن الكلفة»، يقول مارون. وتلفت بو عون إلى أنه «في حال لم نوفّر مبلغ 8 ملايين ليرة كوديعة للمستشفى لا يدخل المسن. وأتحدث هنا عن مستشفيات حكوميّة، وبعد ألف واسطة واتصال. بهدلة بكل معنى الكلمة»، فيما تُشير مديرة مأوى في الشمال إلى أنه «حتى كلفة الـ PCR يتكبّدها المسن وعائلته أو دار الرعاية. فحوصات الدم علينا... الوزارة حاضرة بالاسم».

في ظل هذا الواقع، تكافح الماوي للحفاظ على الحد الأدنى من الرعاية اللائقة للمسنين، مع اللجوء إلى كثير من الإجراءات الصعبة. بحسب مديرة المأوى في الشمال، «كنا نحفّض المسن 5 مرات يومياً، أما الآن فنحفّضه 3 أو 4 مرات. سعر الحفاض الواحد 10 آلاف ليرة. حتى استخدام الشوفاج للتدفئة بات خاضعاً للتقنين كلما استطعنا أو وجدنا أن الطقس دافئ». وتُشير بو عون إلى أن «المسنين كانوا يفطرون يومياً لبنة وجبنة. اليوم نركّز على الزعتر أكثر. أما اللحومات فاستخدامها في الطبخ أصبح وقفاً على المساعدات التي نتلقّاها وقيام بعض الأشخاص بتوفيرها لنا. الأولوية للدواء». وبدوره، يُشير مارون إلى «أننا لا زلنا نوفر اللحوم. لكن خفّفنا من استهلاك السمك».

وينطبق الأمر نفسه على الأدوية التي «تشحدها شحادة. توفير الدواء بات مهمة شاقة. ونطلب أدوية من المسافرين القادمين إلى لبنان أو من جمعيات معيّنة» بحسب مديرة المأوى الشمالي. ويقول مارون إن «جمعية الشبان المسيحيّين بالتنسيق مع وزارة الصحة تؤمن لنا بعض الأدوية. والباقي ندق الأبواب ونطلب المساعدة.

الجميع يؤكّد أنه لولا المساعدات والتبرعات لما كان بالإمكان الاستمرار. ويقول المدير التنفيذي في دار الرعاية المارونية إن «الاتكال هو على المساعدات، الجمعيات، المبادرات الفردية، وفاعلي الخير». أما مديرة المأوى الشمالي فتحسمها: «لولا الجمعيات والمساعدات لكنا أغلقنا أبوابنا من زمان».

وما يفاقم من المأساة، أوضاع العاملين في المأوى ودور المسنين. فرغم أن عملهم إنساني بالدرجة الأولى، إلا أنهم بحاجة للحد الأدنى للصمود. يتساءل مارون «كيف لنا أن نحافظ على الموظّفين؟» بعدما دنّت قيمة رواتبهم. وتلفت مديرة المأوى الشمالي إلى أن هذه الرواتب «لا تساوي شيئاً، مقارنة بالمهام الملقاة على عاتقهم. يعملون باللحم الحي، وكثيرون منهم باتوا من أماكن بعيدة ويصرفون رواتبهم على المحروقات»، فيما تشير بو عون إلى أن «معظم العاملين لدينا هم من المتطوعين من الشباب، لكن أعدادهم تراجعت»

كأس العرب

مهمة لبنانية صعبة أمام «محاربي الصحراء»

يدخل لبنان مباراة اليوم بمواجهة منتخب الجزائر القوي على ارضية استاد الجنوب وظهره للحائط، بعد خسارة المباراة الاولى امام المنتخب المصري. مباراة اليوم عند الساعة 15.00 بتوقيت بيروت لا تقبل القسمة على اثنين بالنسبة للبنانيين، على اعتبار ان الخسارة ستضعهم رسمياً خارج الحسابات

التزم لاعبو منتخب لبنان بالتحفظ الدفاعي في المباراة الماضية أمام مصر (الدوحة-طلال سلمان)

لم يقدم منتخب لبنان كرة قدم جميلة في مباراته الأولى من بطولة كأس العرب أمام المنتخب المصري يوم الأربعاء الفائت. التزم رجال المدرب التشيكي إيفان هاشيك بالتحفظ الدفاعي طوال 90 دقيقة كاملة، ولم تكن لهم أي محاولات على مرمى الفراعنة. ولكن على رغم هذه الصورة، يحسب للاعبين اللبنانيين جسن تمركزهم الدفاعي وانضباطهم التكتيكي أمام منتخب يتفوق عليهم بكل شيء، لينتهي اللقاء بخسارة بهدف من دون رد، جاء من ركلة جزاء.

مباراة اليوم ربما ستحمل بعض التغييرات الطفيفة على مستوى الاستراتيجيّة اللبنانية، بخاصة أن المدرب التشيكي اعترف بقوّة الجزائريين وتفوقهم. هاشيك قال صراحة إن «المنتخب الجزائري منتخب كبير، وأكد قوته في المباراة الأولى أمام السودان بالفوز برباعية». وخلال المؤتمر الصحافي الخاص باللقاء اعترف مدرب منتخب لبنان بصعوبة المهمة: «مباراة الجزائر مهمة جداً للإبقاء على حظوظنا في التأهل إلى ربع النهائي، وماموريتنا لن تكون سهلة، لكن سنعمل على تقديم مباراة جيّدة على ملعب جميل، والخروج بنتيجة جيدة». وأضاف «المباراة مهمة لكلا الطرفين. هم مرشحون للقب، ونحن نعد لكل جولة على حدة، واستيعابنا ظروف اللقاء يبدد من دون شك جانباً من الصورة المتحفظة التي ظهرنا بها أمام مصر، لا سيما في الشوط الأول. نحن نلعب بتوازن ونظور اداءنا تدريجياً. بضم منتخب الجزائر كوكبة من الأسماء الكبيرة على مختلف الأصعدة، لكن هذا لا يعني أننا سنلعب بتحفظ دائم». أما لاعب المنتخب اللبناني نادر مطر فقد أكد من جهته أن مباراة مهمة تنتظر المنتخب اللبناني، مشدداً على مشروعية الطموح بالتأهل: «مباراة مهمة تنتظرنا وهدفنا المنطقي هو الفوز وتعزيز حضورنا، وهذا طموح مشروع. لعبنا أمام منتخب مصر القوي، ونظيره الجزائري لا يقل شأناً. نحن متعاونون وجاهزون لبذل قصارى جهدنا، لن نتهوّر بل سنؤدي بهدوء وتركيز مناسبين لبلوغ ما نصبو إليه».

هاشيك يدرك جيداً أنه خسر مفاتيح لعب مهمة بسبب الإصابات أو الالتزام مع الأندية. مفاتيح أولها القائد حسن معتوق الغائب بسبب إصابة، إضافة إلى جوان العمري وباسل جرادي ومحمد قدوح... أربعة لاعبين كان بإمكانهم إعطاء دفعة كبيرة للمنتخب في المونديال العربي، بخاصة عبر الهجمات المرتدّة وقدرتهم على الصعود بالكرة والتسجيل من أنصاف الفرص، وهو ما افتقده منتخب لبنان في مباراته الأولى أمام مصر. سيعتمد المدرب التشيكي على الصلابة الدفاعيّة من أجل صد هجمات الجزائريين، مع قاسم الزين وروبرت ملكي ونور منصور وعباس عاصي وماهر صبرا، وأمامهم سيكون جورج ملكي القوي في الالتحامات والمواجهات الثنائية. واليوم أيضاً سيكون الحارس مصطفى مطر أمام اختبار صعب في ظل وجود نجوم الجزائر في مقدمتهم يوسف بلايلي وبغداد بونجاح، وهلال سوداني وياسين إبراهيمي...

> ربما ستحمل مباراة اليوم بعض التغييرات الطفيفة على مستوى الاستراتيجيّة اللبنانية

وخلال هذا اللقاء سيكون كل من ربيع عطايا ومحمد حيدر مطالبين بالخروج أكثر بالكرة من المنطقة اللبنانية، والوصول إلى المرمى الجزائري. بعد المباراة سينتظر منتخب لبنان نتيجة اللقاء الثاني في المجموعة والذي سيجمع مصر مع السودان عند الساعة 18,00، لمعرفة وضع اللبنانيين في المجموعة وترتيبهم.

أبرز مباريات اليوم

كأس العرب

الأردن x المغرب 12:00

لبنان x الجزائر 15:00

السودان x مصر 18:00

فلسطين x السعودية 21:00

البطولات الاوروبية

وستهام يونايتد x تشيلسي 14:30

وولفهامبتون x ليفربول 17:00

واتفورد x مانشستر سيتي 19:30

برشلونة x ريال بيتيس 17:15

روما x انتر ميلانو 19:00

نابولي x أتالانتا 21:45

بروسيا دورتموند x بايرن ميونيخ 19:30

ناشئو لبنان غدا

يبدأ منتخب لبنان للناشئين مشواره غداً الأحد عند الساعة 17,45 بتوقيت بيروت ضمن منافسات بطولة غرب أسيا الثامنة للناشئين في السعودية، والتي تقام من 5 إلى 15 كانون الأول الجاري. ويشارك في البطولة 9 منتخبات (بعد انسحاب الكويت) وزعت بحسب القرعة على ثلاث مجموعات، ضمت الأولى: لبنان إلى جانب السعودية (المضيف) والعراق، فيما الثانية: سوريا وفلسطين والإمارات، والثالثة: البحرين واليمن والأردن.

(الأخبار)

بوندسليغا

دورتموند x بايرن: صراع الزعامة يتجدّد

يبرز الصراع على قمة ترتيب هدافي الدوري الألماني لكرة القدم بين مهاجمي بايرن ميونيخ، البولندي روبرت ليفاندوفسكي، وبوروسيا دورتموند، النروجي إرلينغ هالاند، في الـ«كلاسيكر» الذي يجمع بين المتصدر ووصيفه اليوم السبت (الساعة 19:30 بتوقيت بيروت) في أبرز مباريات المرحلة الرابعة عشرة. ويحل العملاق البافاري ضيفاً على ملعب «سيغنال إيدونا بارك» وفي جعبته نقطة إضافية عن دورتموند (31 مقابل 30)، على وقع التدابير الصارمة المتخذة بسبب فيروس كورونا الذي أرخى بخطورته على مباريات الدوري حيث سيقام «كلاسيكر» أمام أعداد تقلصت إلى 15 ألف متفرّج خوفاً من تداعيات الجائحة، في حين تطالب العديد من الأصوات بإقامة مباريات «بوندسليغا» خلف أبواب موصدة بسبب الموجة الرابعة التي تجتاح البلاد.

ووضع مهاجم دورتموند الدولي النروجي هالاند (21 عاماً) خلفه إصابة تعرض لها في وركه وأبعدته عن الملاعب لفترة خمسة أسابيع، عندما سجّل في مشاركته الأولى هدفاً «على الطاير» وساهم في فوز فريقه على فولفسبورغ (3-1) في المرحلة السابقة.

وينطبق الأمر ذاته على مهاجم بايرن ميونيخ ومتصدر ترتيب الهدافين ليفاندوفسكي الذي سجّل 14 هدفاً في 13 مباراة، والذي حل يوم الإثنين الفائت ثانياً في جائزة الكرة الذهبية، خلف النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي، برغم تسجيله 41 هدفاً في «بوندسليغا» خلال موسم 2020-2021 بالإضافة إلى غيابه عن المباراة الأخيرة بسبب الإصابة.

عاد هالاند من الإصابة أخيرا (أ ف ب)

ويأمل بايرن ميونيخ، الذي يتصدر برصيد 31 نقطة، بالاستفادة من تعثر دورتموند، الذي يأتي في المركز الثالث بفارق نقطتين عن لايبزيغ، لتعزيز موقعه في الصدارة، بعدما خسر نقطتين من رصيده في مباراته الأخيرة أمام ضيفه هوفنهايم (2-2).

ويأمل بايرن ميونيخ، الذي يتصدر برصيد 31 نقطة، بالاستفادة من تعثر دورتموند، الذي يأتي في المركز الثالث بفارق نقطتين عن لايبزيغ، لتعزيز موقعه في الصدارة، بعدما خسر نقطتين من رصيده في مباراته الأخيرة أمام ضيفه هوفنهايم (2-2).

ما سمح له بتحطيم الرقم القياسي الذي كان بحوزة «المدفعجي» غيرد مولر نجم بايرن أيضاً. ولم يتوقف «ليفا» عند هذا الحد، بل تابع في امتحان هذا الموسم على المنوال ذاته بتسجيله 25 هدفاً بقميص ناديه في مختلف المسابقات و5 بقميص منتخب بلاده.

ويتسلح بايرن بفوزه على دورتموند في المواجهات الست الأخيرة بينهما، لكن متصدر الدوري سيفتقد للعديد من مفاتيح اللعب بسبب فيروس كورونا، حيث يستمر غياب جوشوا كيميش عن النادي البافاري كونه يقبع في الحجر الصحي في منزله بعدما جاءت نتيجة فحوصه إيجابية لفيروس كورونا. في المقابل، يحوم الشك حول أهلية ليون غوريتسكا للمشاركة عقب مغادرته تمارين الفريق يوم الخميس بسبب أوجاع في وركه.

من ناحيته، لا يزال دورتموند ينتظر جواباً حول اللياقة البدنية للاعب وسطه الشاب الإنكليزي جود بيلينغهام لمنحه الضوء الأخضر للمشاركة.

(الأخبار)

بريميرليغ

حذر في إنكلترا... رانغنيك يبدأ مهمّته «المستحيلة»

يخوض نادي تشلسي اختباراً صعباً ضد جاره العنيد وستهام يونايتد (اليوم الساعة 14:30 بتوقيت بيروت) ضمن المرحلة الخامسة عشرة من بطولة إنكلترا لكرة القدم، والتي تشهد بداية عهد المدرب الألماني رالف رانغنيك على رأس الجهاز الفني لمانشستر يونايتد. وحقق وست هام انطلاقة مميزة هذا الموسم توّجها بفوز لافت على ليفربول (3-2)، ملحقاً به الخسارة الأولى هذا الموسم، لكنه اتبع ذلك بهزيمتين وتعادل. كما حقق نتيجتين مميزتين بإقصائه القطبين مانشستر سيتي ومانشستر يونايتد توالياً من كأس رابطة الأندية الإنكليزية المحترفة في عقر داريهما، علماً بأن الأول توّج بلقب هذه المسابقة في السنوات الثلاث الأخيرة.

واختلف حال الفريق منذ أن تولى الإشراف عليه المدرب الأسكتلندي ديفيد موير، وتحديداً منذ كانون الأول/ديسمبر عام 2019، فتحول من فريق يواجه خطر السقوط إلى مصاف المستوى الثاني (تشامبيونشيب) إلى فريق صعب المراس في الأونة الأخيرة، حيث نجح في احتلال المركز السادس الموسم الماضي، ما خوّله انتزاع بطاقة التأهل إلى الدوري الأوروبي (يوروبا ليغ) الذي بلغ دوره الإقصائي.

من جهته، لم يكن تشلسي في أفضل حال أخيراً لأنه أهدر نقاطاً على أرضه بتعادله في آخر مباراتين خاضهما على استاد «ستامفورد بريدج» أمام بيرنلي المتواضع ومانشستر يونايتد المتقلب المستوى، في حين وصف مدربه الألماني توماس توخيل فريقه الفائز خارج أرضه على واتفورد (2-1) يوم الأربعاء الماضي بأنه كان محظوظاً بإحراز النقاط الثلاث في المباراة.

في المقابل، يسعى كل من مانشستر سيتي الثاني وليفربول الثالث إلى استغلال أي تعثر لتشلسي للانقضاض على المركز الأول حيث يحل الأول ضيفاً على واتفورد (الساعة 17:00) والثاني على ولفرهامبتون (الساعة 19:30). ويعاني سيتي من إصابات عدة في صفوفه، أبرزها للاعبي خط الوسط الألماني إيلكاي غوندوغان والبلجيكي كيفن دي بروين والمدافعين جون ستونز وكايل ووكر، لكن المدرب الإسباني بيب غواردیولا يستطيع الاعتماد على البرتغالي المتألق برناردو سيلفا والإسباني رودري.

من جهته يريد ليفربول مواصلة عروضه القوية أخيراً، حيث حقق فوزاً لافتاً في منتصف الأسبوع على جاره إيفرتون (4-1) في ملعب الأخير «غوديسون بارك». وسجّل الفريق الأحمر معدلاً مقداره أكثر من 3 أهداف في المباراة الواحدة (43 هدفاً في 14 مباراة في الدوري المحلي هذا الموسم) بفضل تألق ثلاثي المقدمة المؤلف من المصري محمد صلاح (13 هدفاً) والبرتغالي ديوغو جوتا (8) والسنغالي ساديو مانيه (7)، أي نحو ثلثي أهداف الفريق.

> يسعى مانشستر سيتي وليفربول إلى استغلال أي تعثر لتشلسي للانقضاض على المركز الأول

وفي مباراة أخرى يفتتح مانشستر يونايتد حقبة جديدة بإشراف مدربه الألماني رالف رانغنيك الذي تعاقد معه النادي لفترة ستة أشهر، على أن يتولى منصباً استشارياً في النادي لمدة سنتين بعد ذلك. ويخوض رانغنيك أول مباراة رسمية له على ملعب «أولد ترافورد» ضد كريستال بالاس غداً الأحد (الساعة 16:00)، وهي مباراة ينتظرها كثيرون لمعرفة ماذا يمكن أن يقدم المدرب الجديد من أجل إعادة مانشستر إلى القمة مجدداً.

وشدد رانغنيك في أول مؤتمر صحافي له أمس الجمعة على شد الصفوف داخل الفريق، من أجل تحقيق نتائج إيجابية ترتقي إلى حجم تطلعات أنصار النادي، بقوله: «دوري يكمن في مساعدة الفريق على تكوين كتلة متجانسة. روح الفريق والتضامن بين مختلف أفراده غاية في الأهمية. لقد شاهدنا شوطين مختلفين في مباراة الأمس (فاز بها مانشستر على أرسنال 3-2). لكن وجود أنصار رائعين سيساعدنا بلا شك. الأمور لن تكون سهلة، لا يمكنني تغيير الكثير من الأمور في حصة تدريبية أو اثنتين. يتعين علينا أن نستحوذ أكثر على الكرة لكي نسيطر أكثر على مجريات اللعب».

(أ ف ب)

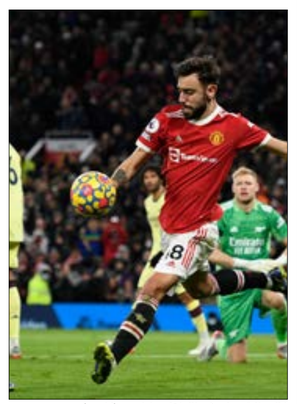
فاز يونايتد على ارسنال اول من امس (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3902

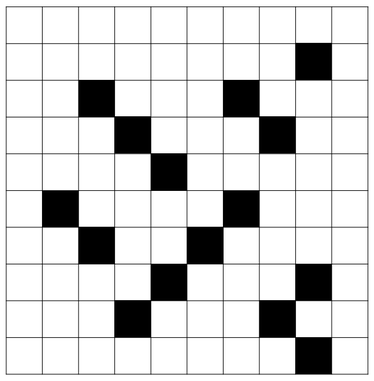

افقيا

1- موسيقي لبناني – 2- عاصمة أوروبية – 3- يحمله كل إنسان – سلسلة جبال أوروبية – مأوى الدجاج – 4- أمر خفي – خليج ليبي – خرق في الحائط – 5- اثار ضرب على الوجه والجسم – ندوّن – 6- آلة موسيقية – شبه جزيرة يونانية فيها العاصمة أثينا – 7- عاصمة أوروبية – غير ناضج من الفاكهة – تشارك معه بصلة أو قرابة – 8- أعطى من دون مقابل – ماركة سيارات – 9- عملة آسيوية – من الأشجار – إلهه – 10- من فنادق إمارة دبي المشهورة

عموديا

1- مدينة مصرية – 2- ممرّ تحت الأرض – 3- عاتب – كلب تان تان بطل الشرائط المصورة – 4- بحر – خاصتها بالأجنبية – خلاف ليل – 5- قائد عام سابق لقوات اليونيفيل في جنوب لبنان – حصن – 6- تكلمَ بكلام لا طائل تحته – يصق – ال التعريف بالأجنبية – 7- فرع من الشعوب السامية – عاصمتها نيامي – 8- خاصم أشدّ الخصومة – أحرف متشابهة – أولاد بقر الوحش – 9- من الأحجار الكريمة – مكان الخطيب – 10- والدة النبي

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- الأم تيريزا – 2- موز – رقيب – 3- أنا – ليما – 4- قالب – قيس – 5- صفق – باع – بل – 6- رسيخ – مصارف – 7- هورس – أتوا – 8- يبني – يدنّ – 9- فرن – بلال – 10- حر – علي بابا

عموديا

1- الأقصر – رفح – 2- نافسه – ر ر – 3- أم القيوين – 4- مو – غرب – 5- تزلّ – سنبل – 6- يمام – يلي – 7- يرمّ – عصا – اب – 8- زقاق – اتيلا – 9- اي – يبرود – 10- بنسلفانيا

sudoku 3902

4					7			3
	7			1			9	
3		9		4		6		
	9		7			5		
	4	2		5		1	3	
		3	1		9		4	
		6		7		9		4
	3			9			6	
9					2			1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3901

7	2	1	4	8	3	5	6	9
5	9	3	6	2	1	4	7	8
6	4	8	9	5	7	2	3	1
9	1	7	5	6	8	3	2	4
2	6	5	1	3	4	9	8	7
8	3	4	7	9	2	1	5	6
4	5	2	8	7	9	6	1	3
1	8	6	3	4	5	7	9	2
3	7	9	2	1	6	8	4	5

مشاهير 3902

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مقدمة برامج لبنانية ومن أبرز الإعلاميات في العالم العربي. بدأت مشوارها الإعلامي في إيطاليا وانتقلت بعدها الى لبنان لتتابع عملها في محطة روتانا.

10+5+7+2+9 = عين ماء ■ 4+3+8+6+1 = مياه بحرية متقاذفة ■ 3+11 = يجري في العروق

حل الشبكة الماضية: **كاندیس بارکر**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ الصدر المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، أمل الأتحري
■ المدير الصفي: صلاح الموسى
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 01/666314 ـ 15، 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

هل إدارة جو بايدن تحتضر؟

أسعد أبو خليك *

تمرُّ إدارة بايدن في مرحلة صعبة جداً من تاريخها القصير جداً. استطلاعات الرأي باتت تُظهر نسبة تأييد الرئيس باقلّ من 40%، وهذا مؤشّر خطير إلى رئيس تُبعده سنة واحدة فقط من الانتخابات النصفيّة التي ستقرّر مصير الأكثريّة الديموقراطيّة في الكونغرس (وهي هزيلة جداً في مجلس الشيوخ وهي قابلة للقلب بسهولة لو استمرّ صعود حظوظ الجمهوريّين). والانتخابات الأخيرة قبل أسابيع أظهرت أن بايدن يعاني (سياسيّاً) كما ظهر من خسارة الحزب الديموقراطي لمنصب الحاكميّة في ولاية فرجينيا. والولاية مختبر مهم لأنّها في الحقيقة ولايتان منفصلتان: الغرب والجنوب الذي يحتوي على البيض المحافظين التقليديّين وحيث هناك جامعة «ليبرتي» اليمينيّة التي احتضنت ترشيح دونالد ترمب مبكراً (عُشتُ لسنة واحدة في مدينة لينشبرغ حيث علّمت في جامعة خاصّة للنساء، «رادنولف ميكن»، وكانت على عداء مستحكم مع جامعة «الليبرتي») مقابل شمال الولاية. وشمال الولاية هو بضمّ مهاجرين آسيويّين وشرق أوسطيّين ولاتينيّين ومسلمين، وكل هؤلاء كانوا مسؤولين عن ظاهرة تغيّر أهواء اقتراع الولاية لمصلحة الحزب الديموقراطي في السنوات الأخيرة (بات النأي من شمال الولاية مثلاً يحتاج إلى إرضاء الناخبين العرب والمسلمين). صحيح أن المرشح الجمهوري الذي فاز ناى بنفسه عن شخص ترامب وركّز على مواضيع التعليم ومواضيع أخرى خاصّة بالولاية، لكن المرشح الديموقراطي كان قويّاً وله تاريخ في جمع التبرّعات السياسيّة وكان دوره مركزيّاً في حملات بيل وهيلاري كلينتون الرئاسيّة عبر السنوات، استدعى المرشح الديموقراطي بايدن وهاريس وحتى أوباما لمساعدته في حملته وكل هؤلاء لم ينفعوه.

وهناك نظريّات مختلفة حول أسباب تدهور شعبيّة بايدن في السنة الماضية. هناك طبعاً مسألة فيروس كورونا وارتداد الكمّامات. خذوا ولاية كاليفورنيا حيث أعيش. وانظُر «على ربْحه»، كما يُقال لي دوماً على المواقع: هناك نحو 62% من السكّان (بصرف النظر عن الفئات العمريّة) قد أتمّوا اللقاحيْن، فيما أتمّ نحو 82% من الذين هم أكبر من سن الـ 65 اللقاحيْن. ماذا يعني هذا؟ يعني أن هناك نحو ثلث السكّان ممن يرفضون بعناد وصرامة تلقّي اللقاح وهم يعتبرون أن اللقاح خطرٌ داهمٌ. وهناك فيض من نظريّات مؤامرة مختلفة عن اللقاح تبدأ بأن شركة «مايكروسوفت» ستضع جهازاً في دماغك من خلال جرعة اللقاح، إلى نظريّة أن الحكومة ستأخذ معلومات عنك من خلال اللقاح الذي ليس إلا جهاز إرسال في جسدك (يسخر الغربيّون من الحزب الإيمان بمثل هذه نظريّة المؤامرة فيما أميركا هي العاصمة الحقيقيّة لنظريّات المؤامرة ــ والليبراليّون العرب يسخرون من نظريّة المؤامرة إذا كانت تستهدف الدور الأميركي أو الإسرائيلي فيما هم متساهلون جداً في الإيمان بنظريّات مؤامرة تتعلّق بالملف النووي وحكومة إيران وحزب الله. هذا الأسبوع في «القدس العربي» ذكّر الياس خوري القرّاء بـ «حصار إيراني» مزعوم في لبنان، إذ إن إيران تفرض حصاراً خانقاً على الشعب وهي وصفت حزب «تيّار المستقبل» بالإرهابي وحظّرت استعمال أعضائه للمصارف اللبنانيّة وجمّدت أرصدة كل قادته). والكثير من معارضي اللقاح هنا يرفضون أيضاً ارتداء الكمّامات ويعتبرون فرضها، ولو في أماكن أو مبانٍ عامّة أو خاصّة، انتهاكاً لحريّة التعبير. والشعب الأميركي (وعشتُ معه أو حوله أو إلى جانبه أو بعيداً عنه لأربعة عقود) غريبُ الأطوار بعض الشيء، أو مُحيِّر: هو لا يمانع في خرق حقوق الأفراد هنا وقد أيّد باكثريّة ساحقة «قانون الوطنيّة» بعد 11 أيلول والذي أعطى سلطات هائلة للحكومة الفيدراليّة، لكنه يثور ويحتجّ لو أن مطعماً فرض لبس كمامة عليه. وانتشار الفيروس هو بسبب هؤلاء الذين يرفضون اللقاح ويرفضون ارتداء الكمّامة (وهناك أنساق من هؤلاء في العالم العربي، لكنّ البطريرك الماروني ونبّيه بزي وياسين جابر اعتمدوا على العلم الحديث وقرّروا لفّ شارة «الدكتور هواء» حول رقبتهم مبكراً لمنع الفيروس من الفتك (ويُقال إن «الدكتور هواء» هو فعّال أيضاً ضد «صيبة العين» لكن ذلك يحتاج إلى مزيد من الدراسات لعيّنات أكثر من السكّان).

والكورونا هو سبب أوّل لانخفاض شعبيّة جو بايدن. كان الشعب الأميركي يتوقّع انفراجاً عاجلاً من خلال الإدارة الجديدة بعد تخبّط إدارة دونالد ترامب عندما كان في البيت الأبيض رجلٌ لا يؤمن بالعلم ولا يكترث لنصائح الخبراء في أي حقل. بايدن جعل من إنتاج ونشر اللقاحات العنوان الأوّل لإدارته. وأوقع بايدن نفسه في ورطة في إسباغه الوعود أمام الشعب عن القضاء على الفيروس. لكنّ الطب بات يعلم الكثير عن حقيقة الفيروس، لكن الموضوع انتقل إلى اختصاص الأمراض المعدية وخبراء الإحصاء الذين يستطيعون توقّع نسب انتشار الفيروس بحسب السمات الديموغرافيّة للسكّان. وهذه التوقّعات بالغت في رغبة السكّان في تلقّي اللقاح. كيف لبايدن أن يتوقّع القضاء على الفيروس فيما هناك متغيّرات متعدّدة عن الحالة، بما فيها مواقف الناس من اللقاح وحتى من الكمامات. طبعاً، كان يمكن لبايدن أن يخفّض نسبة انتشار الفيروس بين الناس لو أنه أصدر قراراً فيدرالياً بفرض ارتداء الكمّامات لكن يعلم أن ذلك يثير حفيظة الرجال البيض المحافظين (هناك صورة تنميطيّة عن أعداء اللقاح هنا بأنهم معادون للعلم والطب، لكنّ الدرجة التعليميّة الغالبة لمعارضي اللقاح هي الدكتوراه). بعد تحقيق تخفيض ملحوظ في نسبة انتشار الفيروس، استقرّت نسب الإصابة، ثم صعدت ثم انخفضت لأن أعداد متلقّي اللقاح لم تستمرّ في الارتفاع.

والسبب الثاني في انخفاض شعبيّة بايدن يكمن في شيخوخته وفي ظهور تعب ذهني في محادثاته في الصحافة. هناك طبعاً تعصّبٌ عند الناس ضد المتقدّمين في السن عندما يكونون في سدّة المسؤوليّة. هناك في لبنان نكات (خصوصاً من ليبراليّين وثاو ثاو) عن سنّ ميشال عون وعن أنه مصاب بالخرف. وهذا تنميط للمتقدّمين في السن. والذين يسخرون من سنّ ميشال عون لا يجرؤون على السخرية من الملك السعودي وهو في الخامسة والثمانين من عمره. متى كانت آخر إطلالة لحاكم الإمارات الفعلية، خليفة بن زايد؟ وفي غياب دلائل طبيّة، لا يجوز تشخيص حالات عقليّة لأشخاص بناءً على ما نراه على شاشة... أنا أجزم أن حالة نبيه بري أو ميشال عون العقليّة هي أفضل من حالات نواب في الثلاثين والأربعين من عمرهم. لكن هنا تتأثّر النظرة إلى سنّ جو بايدن بحالة رونالد ريغان. أصيب ريغان بالخرف بعد انتهاء ولايته، لكنّ ابنه رون يعترف أن عوارض الخرف ظهرت عليه أوّل ما ظهرت عليه عندما كان رئيساً في البيت الأبيض. لستُ خبيراً كي أجزم في حالة بايدن كما يفعل كثيرون وكثيرات هنا، لكن لا شكّ أن مسؤوليّات الرئاسة الأميركيّة تتطلّب حضوراً جسديّاً وذهنيّاً مستمرّاً، وخلافاً لما يُظن خارج أميركا، ليس هناك من شفافية في الرئاسيّات الأميركيّة. في حالة الرئيس الأميركي الصحيّة، والكثير منهم في السنوات الأخيرة لم ينشروا تقارير مفصّلة عن حالاتهم الصحيّة، لم نكن نعرف مثلاً أن جون كينيدي كان طريح الفراش (أو السجّادة في مكتبه) بسبب إصابته بألم حادّ في ظهره. وكان البيت الأبيض يتستّر على حالة فرانكلن روزفلت عندما كان في كرسي متحرّك، ولم يكن الشعب يعلم أن رئيسه جالس في كرسي متحرّك. والذي يزيد من حالة القلق بالنسبة إلى بايدن أن نائبة الرئيس، كامالة هاريس، ظهرت على حقيقتها أمام الناس بعد انتخاب بايدن، وهي تفتقر إلى مقوّمات المنصب بالنظر إلى جهلها بالسياسات العامّة وعدم قدرتها على الحديث من دون تدوينات أمامها.

والشكوك حول حالة بايدن الصحيّة بلغت أوجها هذا الأسبوع واضطرّ الرئيس إلى إصدار معلومات عن أنه ينوي الترشّح لولاية ثانية. وحالة بايدن صعبة إلى درجة أنه يمكن أن يضطرّ إلى تغيير شخص نائب الرئيس في الولاية الثانية، لكنه لو فعل هذا فإنه سيزيد من الشكوك في رجاحة عقله.

ثالثاً، الرئيس الأميركي يفتقر إلى إنجاز تشريعي. كل رئيس أميركي يحتاج إلى إنجاز تشريعي بحلول الانتخابات النصفيّة (بعد مرور سنتين على الفوز). لم تقترن إدارة بايدن بعد بإنجاز تشريعي كبير أو هام. لقد وافق الكونغرس على قانون الإنفاق على البنية التحتيّة وهو بقيمة 1 تريليون دولار. لكن الموافقة على القانون تطلّبت أشهراً صعبة من المفاوضات والمناكفات. وحالة البنية التحتيّة مزرية للغاية (وهي تشمل في القانون الجسور والطرقات والمطارات بالإضافة إلى تحسين وسائل النقل بالقطار ــ وهي هنا مختلفة كثيراً عن مثيلاتها في أوروبا وآسيا ومياه المراحيض الآسنة تطوف نحو المقطورات كما اكتشفت ذات رحلة من واشنطن إلى بوسطن ــ ومحطات الكهرباء بالإضافة إلى توصيل الإنترنت السريع إلى المناطق الريفيّة الفقيرة. والقانون يضم قسماً متعلّقاً بتحسين الشروط البيئية للمواصلات والبنية التحتيّة، وهذا كان من شروط موافقة التقدميّين عليه. لكن قانون الإنفاق الاجتماعي والذي يقارب 1,85 تريليون دولار، تعثّر في مجلس الشيوخ بانتظار تغيير بعض بنوده. وهذا الإنفاق هو مستوى منخفض عمّا كان يريده منه التقدميّون في الكونغرس الأميركي. والقانون هذا يتضمّن الإنفاق على رعاية الأطفال ــ قبل سن المدرسة ــ وتوسيع نطاق الرعاية الطبيّة للمسنّين والتعليم تحت مستوى البكالوريوس بالإضافة إلى شقّ متعلّق بالبيئة وإيجاد وسائل طاقة بديلة عوضاً عن الوقود الحفري. وهذا الإنفاق الأقلّ سخاءً من معظم دول الغرب الصناعيّة يتطلّب ضرائب جديدة لا محالة. إدارة بايدن (الخائفة مثل كل إدارة من تهمة رفع الضرائب على شعب ينبذ الضرائب لأن الدولة تأسّست على مفاهيم بالغة التطرّف في الرأسمالية وعلى إيلاء الفرد أهميّة أكبر من الجماعة في تخطيط السياسة العامّة) تقول إن الضرائب ستُفرَض فقط على كبار الأثرياء وإن إنفاق مليارات الدولارات على تحسين عمل هيئة الضرائب الفيدرالية سيزيد من تحصيل جباية الضرائب. لكن مكتب الميزانية الحكومي، في دراسته للقانون الجديد، خفّض من تقديرات الإدارة حول حجم المبالغ التي ستنتجها زيادة الجباية. المشروع سيمرّ بشقّ النفس في الكونغرس الأميركي وسيقترن أخيراً باسم جو بايدن.

توم إينغرخ (السويد)

> ذكّر الياس خوري القرّاء بـ «حصار إيراني» مزعوم في لبنان، إذ إن إيران تفرض حصاراً خانقاً على الشعب وهي وصفت حزب «تيّار المستقبل» بالإرهابي وجمّدت أرصدة كل قادته

> قد يتحسّن الاقتصاد الأميركي، وقد تحصل حرب في مكان ما... لكن لماذا على الناس في العالم النامي ترقّب مجريات السياسة الأميركيّة كي يعرفوا إذا كان سقف بيتهم سيبقى صامداً؟

لكن لا الجناح الليبرالي كان راضياً عن قانون الإنفاق لأنه كان تحت مستوى الإنفاق المنشود، ولا الجناح المحافظ (مثل عضو مجلس الشيوخ جو منشن الديموقراطي من ولاية غرب فرجينيا) كان راضياً بسبب عدم توفّر تمويل واضح المعالم للإنفاق.

وهل أن الإنفاق سيؤثّر على حظوظ الحزب الديموقراطي؟ هناك دراسة مفصّلة نشرها عالما سياسة هنا عن حظوظ الانتخاب للحزب الحاكم بعد تمرير قوانين إنفاق. النتيجة أن الثمار ستكون صغيرة فعلاً. صحيح أن هذا المستوى من الإنفاق سيدرّ أموالاً طائلة على أنحاء مختلفة في ولايات عديدة، لكن هذا لن يكون ملموساً قبل سنوات عديدة. وفي الدوائر المعارضة لحزب الرئيس ستكون النتيجة صفراً تقريباً أو سلبية بسبب معاداة زيادة الضرائب في تلك الأنحاء. هناك تأثير إيجابي ولكن طفيف في دوائر حزب الرئيس. أي أن آمال بايدن أن هذا الإنفاق سيحلّ مشكلة حزبه في العام المقبل ستتبدّد على الأرجح (هذا لا يعني أنه يمكن أن يحدث شيء ما يعزّز من شعبيّة الرئيس لكن ذلك يمكن أن يكون في مجالات أخرى لا تتعلّق بالمشروعيْن، مثل أن يتحسّن الاقتصاد قبل ذلك أو أن يزول خطر الفيروس ــ هذه عوامل يمكن لها أن تعكس صورة الرئيس جذريّاً بين الناخبين).

رابعاً، مشكلة بايدن هي مشكلة كل رئيس ديموقراطي. الناخبون البيض (خصوصاً الذكور منهم) هجروا الحزب الديموقراطي زرافاتٍ زرافاتٍ وهم يحتاجون إلى إغراءات لهجر الحزب الديموقراطي. بايدن استطاع أن يجذب بعض الناخبين البيض في الانتخابات الأخيرة (لكنه لم يُحفّز بما فيه الكفاية الناخبين الملوّنين). هذا رجل أبيض لديه سجلّ محافظ في مجلس الشيوخ ولم يكن معروفاً قبل عهد أوباما بتقدميّته (هو سبق أوباما بتأييده لزواج المثليّين لكن ذلك كان في سياق استمالته للبيرالّيين في الحزب الديموقراطي تحضيراً لخوضه معركة الترشيح الرئاسي). أوباما نجح في جذب ناخبين جدد، حتى من البيض، وأي رئيس ديموقراطي يحتاج ــ ولو نال نسباً كبيرة من القاعدة التقليديّة للحزب الديموقراطي (الملوّنون والفقراء والنساء مع أن النساء البيض ينقسمن بين الجنسيْن) ــ إلى نسبة معيّنة من البيض الذكور أو الإناث. الحزب الجمهوري ينجح في تعبئة الناخبين البيض من خلال التركيز على القضايا الثقافيّة: أي مواضيع الصوابيّة السياسيّة أو تنامي نفوذ المنظمات المادية بحقوق الأقليّات والمهاجرين أو تغيير المناهج ليبراليّاً. سيصعب على بايدن جذب ناخبين بيض جدد قبل الانتخابات النصفيّة من دون تحقيق إنجاز في الموضوع الاقتصادي. واسعار النفط إلى ارتفاع سريع وهذا يؤثّر كثيراً على شعبيّة كل رئيس. وكان النظام السعودي يساعد الرؤساء الأميركيين منذ السبعينيات في معارك إعادة الانتخاب عبر ضخ المزيد من النفط في الأسواق لخفض الأسعار. هنا، الصحافة على قناعة (كما الإدارة) أن محمد بن سلمان يعاقب بايدن لتجاهله له. وبايدن يرفض الاتصال به أو اللقاء معه على الرغم من إلحاح الأخير وتوسّط اللوبي الإسرائيلي له. أسعار البنزين هي مسألة أولويّة في اهتمامات الناخبين في أميركا، لأن البلاد شاسعة وليس هناك من إنفاق (إلا في بعض المدن في بعض الولايات) على وسائل النقل العام. لا يمكن لأي مواطن، ولو كان فقيراً، أن يعتمد على وسائل النقل العام في التنقّل. ومشروع بسيط وبديهي لوصل مدينة سان فرنسيسكو (في شمال ولاية كاليفورنيا) بمدينة لوس أنجليس (في جنوب الولاية) تعطّل لأن الناس لا يريدون زيادة الضرائب.

خامساً، تعطّلت العلاقة بين الرئيس ونائبه. لا أذكر حالة تتعطّل فيها العلاقة بين الرئيس ونائبه بهذه السرعة. صحيح أن جورج دبليو بوش لم يكن على تواصل بتاتاً مع نائبه، ديك تشيني، في ولايته الثانية مع أن تشيني كان الرئيس الفعلي في الفترة التي تلت تفجيرات 11 أيلول. نائب الرئيس هو عونٌ وسند للرئيس ويجول البلاد للدفاع عن سياسات الرئيس. كاملة هاريس غير مؤهّلة وتفتقر لعناصر تضيف قوّة سياسيّة إلى الرئيس. هي غير عليمة بمواضيع السياسة العامّة وكان ذلك ظاهراً في أدائها الفاشل في المناظرات عندما خاضت معركة الترشيح في آخر انتخابات. تجيب عن أسئلة تفصيليّة بسرد حادثة جرت معها في المدرسة. بايدن اختارها بالرغم من أنها شكّكت في عدائه للعنصريّة لأنه احتاج إلى امرأة غير بيضاء في منصب نائب الرئيس. وتاريخ صعود هاريس اعتمد على الواسطة والعلاقات العامّة وليس على الإنجازات. حتى في تبوّئها منصب وزيرة العدل المحليّة في ولاية كاليفورنيا لم تميّز نفسها في العمل. وهناك أحاديث في الصحافة عن علاقة سيئة وصراعات بين جنّاح الرئيس وجناح نائب الرئيس. وتقدّم عمر بايدن وظهور معالم الشيخوخة الذهنيّة يزيدان من تسليط الأضواء على شخص نائب الرئيس وفي هذه الحالة لا يبعث ذلك على الاطمئنان. هناك حالة من الهلع في أوساط بعض الناخبين من احتمال تسلّم هاريس مقاليد الرئاسة الأميركيّة (وهاريس بالإضافة إلى افتقارها للمؤهلات والكفاءة والمعرفة السياسيّة، كانت قريبة جداً من اللوبي الإسرائيلي منذ أن دخلت الحقل السياسي، لكن بايدن قريب جداً من اللوبي هو الآخر). سادساً، لقد دخل في الكونغرس الأميركي في السنوات الأخيرة تيّار تقدّمي في داخل الحزب الديموقراطي. وهذا الجناح لا يملك الأغلبيّة في الحزب لكنه مرتفع الصوت ويتمتّع بـ«نجوم» ممن يلفتون نظر الإعلام (مثل الكسندرا أوكاسيو ـ كورتيز وإلهان عمر ــ بالمناسبة، صاحب موقع «رصيف 22»، المخلي بالتمويل الغربي الحكومي، وصف إلهان عمر في تغريدة بالسّ...). وهذا الجناح شديد الإزعاج للبيض وهو ــ خلافاً لقيادة الحزب الديموقراطي الهرمة ــ جاذب للناشطين الديموقراطيّين ويخوض معركة لرفع كل رموز العنصريّة البيضاء من كتب التاريخ والأماكن العامّة. وخطاب الجناح اليساري يستفزّ البيض ويساعد في رصّ صفوفهم انتخابيّاً. كما أن الحزب الجمهوري ينجح في جعل الجناح اليساري ممثلاً لكل الحزب الديموقراطي وتصويره على أنه حزب اشتراكي (في هذا البلد الغريب، لا تزال الشيوعيّة والاشتراكيّة بعبعاً سهل الاستخدام في الحملات الانتخابيّة). وفي المقابل، يعزّز الحزب الجمهوري مواقفه من خلال تعديل شروط وقوانين الانتخابات في الولايات لجعل الاقتراع أكثر صعوبة. وتصعيب الاقتراع يستهدف الفقراء والملوّنين، أي جزءاً من قاعدة الحزب الديموقراطي. وإعادة رسم الدوائر الانتخابيّة (في كل الولايات الريفيّة وفي المناطق الريفيّة في ولايات مَدينيّة) تجري على قدم وساق في كل المجالس الاشتراعيّة المحليّة في الولايات لتدعيم وضمان التمثيل الجمهوري. هذه ستكون في مصلحة الحزب الجمهوري في الانتخابات المقبلة التي يترقّبها بايدن بخوف شديد.

صحيح، أن بايدن بعد عشرة أشهر في الحكم يبدو ضعيفاً بأرقام 36% من نسب رضى الناخبين عنه. ليس في وضع جسدي يسمح له بالتجوال المستمرّ في الولايات لشرح برامجه وتشريعاته. ونائبة الرئيس باتت تشكّل عبئاً أكثر مما هي إضافة للرصيد السياسي للرئيس. لكن سنة واحدة هي زمن في الأعمار السياسيّة وهناك عدة متغيّرات تؤثّر على موقع الرئيس الأميركي وعلى موقع حزبه. بعد حرب العراق الأولى عام 1991، فاقت نسبة تأييد جورج بوش (الأب) أكثر من 90%. لكن الرجل خسر الانتخابات أمام بيل كلينتون بعد سنة واحدة فقط. قد يتحسّن الاقتصاد وقد تحصل حرب في مكان ما (يرصد علماء السياسة هنا ظاهرة ما يُسمّى بـ «الالتفاف حول العلم»، أي تأييد الرئيس عندما يشنّ حرباً في أي مكان في العالم). قد يتحسّن الاقتصاد وقد يتلقّى محمد بن سلمان اتصالاً هاتفيّاً من بايدن كي يخفّض أسعار النفط (ترامب أعلن جهاراً كيف أنه اتصل بالملك سلمان بن عبد العزيز وأمره بخفض أسعار النفط وأنه لبّى الطلب)، قد لا يعمّر بايدن لولاية ثانية أو لوعد الانتخابات الرئاسيّة المقبلة وهذا لا يمكن أن يكون في مصلحة الحزب الديموقراطي ولو تسنّى لهاريس إكمال ولاية لجو بايدن. لكن لماذا على الناس في العالم النامي ترقّب مجريات السياسة الأميركيّة كي يعرفوا إذا كان سقف بيتهم سيبقى صامداً؟

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

ينجو وتنجو!؟

سعد الله مزرعاني *

مراقبة مسار التحضير للمعركة الانتخابية «العظمى» كما يمكن تسميتها (نظراً للمعوَّل عليها من قبل الفريق الأنشط في تغذية الأزمة اللبنانية وفي استغلالها) يقود بسهولة لتوقّع أن تذهب الأمور، وفق كلا الاحتمالين الراجحين أو المرجّحين، إلى صمود وبقاء النظام السياسي اللبناني كما هو، وإلى إفلات منظومة التحاصص من المحاسبة الحقيقيّة. طبعاً هذا أمر غريب بعد أهوال الأزمة المتمادية، وبعد تحوّل الأكثريّة السّاحقة من الشعب اللبناني إلى ضحايا لها، دون حدود ورحمة، بما لا مثيل له، تقريباً، بالمقارنة مع كوارث ونائبات مماثلة في لبنان وحتى في العالم!

في مباشر القول ومختصره أن الصراع الحقيقي الذي ستُترجم محصّلته في صناديق الاقتراع (في حال حصول الانتخابات) هو ذلك الذي يتمثّل قُطباه، بمنظومة التحاصص من جهة، والمجموعات والأحزاب التي يعبّئها ويحرّكها عموماً الطرف الأميركي من جهة ثانية. بالتأكيد لن يقتصر المشهد الانتخابي والسياسي العام على هذين اللّاعبَيْن. ثمّة قوى أخرى، تحاول أن تجد لها موقعاً. وهي قوى متضرّرة واسعة، قديمة وجديدة. غير أنّها محدودة التأثير. وهي بالتالي، عاجزة عن أن تدخل المنافسة من بابها الواسع الذي يوفّر لها فرصة الحضور في النتائج وفي توجيه الأحداث ولو بنسبة محدودة.

لا يُلغي ما تقدّم، ومن ضمن سياقه أو بمحاذاته، احتمال وصول أفراد ومجموعات (يُوفّر لها الدعم السياسي والمالي، ويوفّر لها الإعلام اللبناني الذي يعمل جلّه في كنف الخطة الأميركية، فرصة الظهور الكثيف) إلى الندوة النيابية. لكن ذلك لن يمثّل تعبيراً عن الاحتجاجات الشعبيّة وعن معاناة أكثريّة اللبنانيّين المفقّرين والموجوعين والمنهوبين والضائعين. هو بالأخصّ، لن يمثّل صوت هؤلاء ومصلحتهم في فرض المحاسبة والعقاب والتغيير الجذري والإصلاح...

الثّابت، وربّما المفاجئ في الأحوال العاديّة، أنّه في المحصّلات، حتى لو خسرت قوى المنظومة وحارسة النظام السياسي اللبناني، الأكثرية في الانتخابات، فالنتيجة لن تكون على حسابها إلّا جزئياً. ذلك أن تلك النتيجة لن تكون، أبداً، ضد نظامها السياسي مصدر الخلل وأساس العلل: العجز عن بناء دولة مؤسسات سيّدة حصينة مستقرة مزدهرة. انعدام وحدة وطنية تحرس السيادة والاستقلال وتوحّد البلاد في وجه الطامعين أو المفرِّطين، وتدافع عن المصلحة الوطنية في وجه المرتكبين والنهّابين والعابثين من الداخل والخارج...

لقد جرى إلباس المصالح الأنانيّة الخاصة بالفئات العليا من الطبقة البرجوازية والإقطاع السياسي: أي أصحاب النفوذ والثروات والأرباح الخياليّة، والولاء للخارج خصوصاً، لبوس تمثيل مصالح سواد المنتمين، عفوياً وطبيعياً، إلى الطوائف والمذاهب. بذلك تم تطييف ومذهَبَة المؤسسات والنشاطات الرسمية عموماً. افتقر هذا التطييف بتحويله إلى هوية وانتماء وأداة سلطة على حساب الهوية والانتماء الوطنيّين، وبرعاية دائمة من قوى خارجية طامعة أو محتلة. بالموازاة تمّ تغذية مسار أيديولوجي دعائي بإضفاء هالة وهمية من الفرادة والتميّز والتفوّق على «الخلطة» أو «الصيغة» الوليدة التي لم توفّر يوماً السيادة، أو الوحدة الوطنية، أو العدالة، أو الاستقرار...

قوى المنظومة ولو على نزاع وتنافس وتقاتل، لن تغادر إلّا مرغمة نظامها ومنظومتها. أما القوى الخارجية التي تقود معركة ضارية ضد سياسات بعض أطراف السلطة وضد العلاقات والتحالفات التي استطلّت بها، فلا تستهدف المنظومة ونظامها أبداً. هو نظام تريد له أن يستمر ويتعمّق كنظام تبعية وتفتيت وتنازع من ضمن سياق ينبغي أن يعم المنطقة جمعاء. المستهدف هو ذلك العامل «الدخيل» الذي تسلّل من خلال ثغرات المنظومة وفتوية ونزاعات أطرافها، ليُدخِل عاملاً خطراً و«إرهابياً» على المعادلات المحلية والإقليمية. ذلك هو المقاومة، بكل ألوانها، التي فرضت الهزيمة على العدو الصهيوني: أداة وهراوة المشاريع الغربية الاستعمارية الرامية إلى فرض هيمنتها على المنطقة والسيطرة على مواردها وأسواقها وقرارها.

تجارب بلدان عديدة من مصر إلى تونس إلى السودان... كشفت أن تغيير حكّام في أنظمة موالية للغرب، بتشجيع من دول المتروبول الاستعماري، لم يؤدّ يوماً إلى تغيّر تلك الأنظمة. وهكذا فإن واشنطن التي تنخرط مباشرة في شأننا الداخلي لم تُثر حساسية دعاة السيادة ولا سدنة «الصيغة»، بل هي شحذت شهيّتهم وأذكت حماسهم من أجل أن يتنكبوا أدواراً لم يستطع جزء من فريق السلطة الحالي أن يتنكبها.

لماذا نتحدث فقط عن احتمالَيْن راجحَين أو مرجّحين. السبب بسيط أثارت الأزمة احتجاجات مئات الآلاف من المتضرّرين. لكن هؤلاء، لم يتوحدوا على برنامج وقيادة وأولويات لمواصلة ومحاسبة المسؤولين عن الأزمة وإطاحة نظامهم، وبلورة البديل الإنقاذي المطلوب. لقد تشتّتوا. من بقي في الميدان ليس، عموماً، سوى أنصار أحزاب يسارية حائرة، أو المجموعات التي جرى تجنيدها في خطة ذكرنا أهدافها وهي تحويل النقمة في وجه خصوم واشنطن وتل أبيب وحلفائهما، وليس ضد المسؤولين الأساسيّين الحليّين عن الفساد والنهب والفشل والانهيار.

زاد في قتامة المشهد أن قوى التغيير القديمة التي ناضلت عقوداً طويلة ضد النظام وتركيبته وأطرافه وسياساته وارتباطاته، عجزت عن أن تتشكل في عمل جبهوي موحَّد وموحِّد تستطيع بواسطته التأثير في الحركة الشعبية الجماهيرية الهائلة التي كانت ولا تزال تحتاج إلى نواة صلبة ثورية توجّه وتفعّل نشاطها ضد المرتكبين في الداخل والمستغلّين المتآمرين في الخارج.

الانتخابات، في حال حصولها، لن تكون نهاية المطاف. الأزمة مستمرّة حتى سنين غير محدودة. ما تبقّى من وقت حتى موعد الاستحقاق يتّسع لإطلاق ومباشرة بداية عمل تأسيسي كبير بما يتجاوز الموعد الرسمي للانتخابات المقبلة والانتخابات نفسها، وذلك من ضمن كفاح مفتوح يتوقّف في محطّات الاستحقاقات لكنه يستمر ويثابر حتى تحقيق هدفه النهائي والجذري.

* كاتب وسياسي لبناني

قضية

طوال سنوات ماضية، ظلّت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية متلكّئة عن ملاحقة منظّمات الإجرام في الأراضي الفلسطينية المحتلّة. لا بل إنها هي نفسها تواطأت في تغذية تلك المنظّمات بعوامل الصمود والبقاء، والتغطية على ممارساتها التي أزهقت أرواح ما لا يقلّ عن 1500 ضحية منذ العام 2000. ولم تفارق سلطات الاحتلال تلك اللامبالاة، إلّا في أعقاب «هبّة أيار»، حيث بدأت الدولة العبرية تكتوي بالنار التي أوقدتها بنفسها، لتبدأ مذّاك وضع خطط مكثّفة تستهدف ما تسمّيه «مكافحة الجريمة». لكن هذه المكافحة يُثبت، يوماً بعد يوم، أنها لا تستهدف إلّا السلاح الفردي الذي يمكن أن يُوجَّه في لحظة الحقيقة إلى صدور جنود الاحتلال، فيما يظلّ أساطين الجريمة طليقين، بلا حساب ولا عقاب

غابة الداخل المحتلّ

الذئب الإسرائيلي يكافح الجريمة!

تعمل كافة المنظّمات الإجرامية في أكثر من مجال منها الأتجار بالسلاح والمخدرات (أ ف ب)

بيروت حمود

«بينما كان ديختر يتسلّى بتناول المكسّرات، قال لنا: ستدفعون الثمن غالياً. ما شانكم وشأن الضفّة الـ48 عالقين في متاهة موت لا أمل في الخلاص منها، إلّا بزوال مسبّبها: الأحتلال، إذ طبقاً لمعطيات «المركز العربي للمجتمع الآمن»، فقد سُجّل منذ عام 2000 إلى اليوم، سقوط 1623 ضحية. وهو ما لم يحدث بين ليلة وضحاها، بل نتيجة سنوات طويلة من التخطيط لأسرلة مشاريع المجرمين، وإفقارهم، وجعل النسبة الكبرى منهم إمّا عاطلين عن العمل، وإمّا تحت خطّ الفقر، ما يدفعهم إلى العمل جنوداً عند منظّمات الإجرام، بوصف ذلك أسهل وظيفة بالنسبة إليهم، ولا تتطلب أن يكون الواحد منهم خرّيجاً من إحدى الجامعات. يُضاف إلى ما تقدّم أن سياسة الإفقار، إلى جانب السياسات البنكية التعجيزية، أدّت إلى لجوء عائلة الناس إلى الاستدانة من السوق السوداء التي تديرها تلك المنظّمات. ولأن الأخيرة تُقرض الناس بفائدة تصاعدية خيالية، يجد المستدينون أنفسهم، في نهاية المطاف، عاجزين عن سداد قروضهم. ومن هنا، تبدأ رحلة العذاب، حيث يتعرّض المرء للتهديد والابتزاز، ومن ثم يتحوّل التهديد إلى واقع، عبر إطلاق النار على ممتلكاته، وفي حال عدم استجابته، يتعرّض، هو أو أحد أفراد عائلته، للقتل. ولا يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، إذ يلاحَق أفراد العائلة، إلى أن يجري التنازل عن الممتلكات، أو سداد الدين. حتى الأغنياء، وأصحاب المصالح التجارية من الفلسطينيين، ليسوا محميّين، ولا خارج دائرة الاستهداف، بل هم يتعرّضون بدورهم للمساومة، في إطار ما يُعرف بـ«جرائم الخوّة»، حيث تَفرض منظّمات الإجرام عليهم دفع مبلغ شهري لها، وفي حال عدم استجابتهم لا تتورّع عن إطلاق النار عليهم.

تعمل المنظّمات الإجرامية، التي تديرها عائلات ذات علاقات وطيدة مع السلطات الإسرائيلية، في أكثر من مجال، منها الإتجار بالسلاح والمخدّرات، وتبييض الأموال، والصيرفة والسوق الموازية (أكثر من 20% من مجال الصيرفة مملوكة أو تابعة لها)، والحماية، والخوّات، والابتزاز، وجباية أموال الديون، والخردوات، وإعادة التدوير، وغيرها. ممارساتٌ خلّفت، الشهر الماضي وحده، عشر ضحايا إلى جانب عشرات الإصابات الموثّقة، ومئات حوادث إطلاق النار. وكان قد تمثّل أفظع تلك الحوادث في قتْل امّ أمام أطفالها في المغار، وإطلاق ملثّم النيران على مديرة مدرسة في عرابة في الشرطة، لوسائل إعلام عبرية، أكثر من مرّة، بالقول: «إننا نفقد السيطرة على ما يَحدث في الوسط العربي (فلسطينيو الـ48)». أمّا قطع السلاح المنتشرة بين أيدي المجرمين، فلا أحد يعرف كمّها الحقيقي؛ إذ يُقال، بناءً على تصريح لوزير الأمن الداخلي السابق، جلعاد إردان، إنها تُراوح ما بين 400 - 600 ألف قطعة، وإن أكثر من 70% منه مصدرها جنود الاحتلال، الذين يبيعونها للمنظّمات الإجرامية، ويبلّغون عن سرقتها. وفي وقت سابق من الشهر الماضي، أن إحدى حملاتها استهدفت «كبار تجّار» الأسلحة، الذي أوقعت به من طريق دسّ عميل سرّي، يتّضح يوماً بعد يوم أن المستهدَف من تلك الحملات إنّما هو «السلاح الفردي»، ذلك الذي يمكن أن يُصوَّب، في لحظة الحقيقة، باتجاه الجيش والشرطة الإسرائيليين، بدليل ما يكشفه المحامي أحمد خليفة من أنه توكّل بالدفاع عن أحد «كبار تجّار السلاح»، وهو ليس إلّا طفلاً عمره 13 عاماً! وفي هذا الإطار، يقول خليفة، لـ«الأخبار»، إن «والد الطفل معتقل بتهمة إطلاق النار على جيب عسكري إسرائيلي»، مضيفاً أن «اعتقال الطفل، ليس إلّا للضغط على والده». المحامي الفلسطيني، ابن مدينة امّ الفحم التي شهدت آخر الجرائم أمس - التي ادّت إلى مقتل اثنَين أحدهما على يد الشرطة الإسرائيلية - يشدّد على أنه «لا يمكن إنكار حقيقة أنه توجد حملة لجمع السلاح، غير أن الدافع لذلك هو خشية الشرطة من اتّساع تأثيره، وامتداده إلى عمق المناطق الأخرى، حيث تخشى الشرطة من أن المواجهة المقبلة قد يُستخدم فيها السلاح». ويؤكّد خليفة أن الشرطة لم تكن لتتحرّك «لولا أنها شعرت بخطورة الأمر»، لافتاً إلى أن «الهدف هو ضبط استخدام السلاح غير الخاضع لسيطرة منظّمات الإجرام، والذي يقتنيه البعض بهدف الدفاع عن النفس والحماية بسبب غياب تطبيق القانون»، ما يعني «الإبقاء على السلاح المخصّص لتفكيك المجتمع الفلسطيني في الداخل، أي إدارة الجريمة وليس القضاء عليها... فتفلّت السلاح أمرٌ يصعب السيطرة عليه، والتفريق بين استخدامه جنائياً أو أمنياً، طالما لا خطّة واضحة لمكافحة الجريمة بكلّ أثارها».

وإلى جانب حملة جمع السلاح، ثمّة حملة ضخمة لـ«تجفيف الجريمة عن الشرطة ذاتها»، في وقت سابق من الشهر الماضي. كما عملت على تجنيد العملاء في القرى والبلدات التي تحوي مقرّات للشرطة، ونصبت كاميرات مراقبة، مستغلّة الجريمة كمدخل لإحكام سيطرتها الأمنية على الفلسطينيين، فيما القتَلة ظلّوا طلقاء يحصدون أرواح ضحاياهم، إلى حدّ أن جريمة واحدة من بين كلّ أربع جرائم فقط تُفتح فيها ملفّات جنائية، وفق ما أفاد به تقرير سابق لصحيفة «هآرتس» العبرية.

ومع اندلاع الهَبّة الفلسطينية في أراضي الـ48، دعماً للمقاومة في معركة «سيف القدس» في أيار الماضي، بدأت إسرائيل تتذوّق طعم «السُّم» الذي وضعته في «الطبخة». وها هي منذ أشهر، تحاول تلقّف الصدمة، واضعة عشرات الخطط لـ«مكافحة الجريمة»، عبر إنشاء وحدة «سيف» الشرطية، ووحدة للمستعربين، من أجل الدخول إلى القرى والبلدات الفلسطينية، وتجنيد أكثر من 1200 عنصر شرطي، وافتتاح مقرّات جديدة للشرطة، وإقامة مركز استخباري في وسط فلسطين، فضلاً عن إشراك جهاز «الشاباك» والجيش في حملاتها («ضدّ الجريمة»). وبينما ادّعت، في وقت سابق من الشهر الماضي، أن إحدى حملاتها استهدفت «كبار تجّار» الأسلحة، الذي أوقعت به من طريق دسّ عميل سرّي، يتّضح يوماً بعد يوم أن المستهدَف من تلك الحملات إنّما هو «السلاح الفردي»، ذلك الذي يمكن أن يُصوَّب، في لحظة الحقيقة، باتجاه الجيش والشرطة الإسرائيليين، بدليل ما يكشفه المحامي أحمد خليفة من أنه توكّل بالدفاع عن أحد «كبار تجّار السلاح»، وهو ليس إلّا طفلاً عمره 13 عاماً! وفي هذا الإطار، يقول خليفة، لـ«الأخبار»، إن «والد الطفل معتقل بتهمة إطلاق النار على جيب عسكري إسرائيلي»، مضيفاً أن «اعتقال الطفل، ليس إلّا للضغط على والده». المحامي الفلسطيني، ابن مدينة امّ الفحم التي شهدت آخر الجرائم أمس - التي ادّت إلى مقتل اثنَين أحدهما على يد الشرطة الإسرائيلية - يشدّد على أنه «لا يمكن إنكار حقيقة أنه توجد حملة لجمع السلاح، غير أن الدافع لذلك هو خشية الشرطة من اتّساع تأثيره، وامتداده إلى عمق المناطق الأخرى، حيث تخشى الشرطة من أن المواجهة المقبلة قد يُستخدم فيها السلاح». ويؤكّد خليفة أن الشرطة لم تكن لتتحرّك «لولا أنها شعرت بخطورة الأمر»، لافتاً إلى أن «الهدف هو ضبط استخدام السلاح غير الخاضع لسيطرة منظّمات الإجرام، والذي يقتنيه البعض بهدف الدفاع عن النفس والحماية بسبب غياب تطبيق القانون»، ما يعني «الإبقاء على السلاح المخصّص لتفكيك المجتمع الفلسطيني في الداخل، أي إدارة الجريمة وليس القضاء عليها... فتفلّت السلاح أمرٌ يصعب السيطرة عليه، والتفريق بين استخدامه جنائياً أو أمنياً، طالما لا خطّة واضحة لمكافحة الجريمة بكلّ أثارها».

وإلى جانب حملة جمع السلاح، ثمّة حملة ضخمة لـ«تجفيف الجريمة عن الشرطة ذاتها»، في وقت سابق من الشهر الماضي. كما عملت على تجنيد العملاء في القرى والبلدات التي تحوي مقرّات للشرطة، ونصبت كاميرات مراقبة، مستغلّة الجريمة كمدخل لإحكام سيطرتها الأمنية على الفلسطينيين، فيما القتَلة ظلّوا طلقاء يحصدون أرواح ضحاياهم، إلى حدّ أن جريمة واحدة من بين كلّ أربع جرائم فقط تُفتح فيها ملفّات جنائية، وفق ما أفاد به تقرير سابق لصحيفة «هآرتس» العبرية.

ومع اندلاع الهَبّة الفلسطينية في أراضي الـ48، دعماً للمقاومة في معركة «سيف القدس» في أيار الماضي، بدأت إسرائيل تتذوّق طعم «السُّم» الذي وضعته في «الطبخة». وها هي منذ أشهر، تحاول تلقّف الصدمة، واضعة عشرات الخطط لـ«مكافحة الجريمة»، عبر إنشاء السيطرة. وهو ما عبّر عنه مسؤولون في الشرطة، لوسائل إعلام عبرية، أكثر من مرّة، بالقول: «إننا نفقد السيطرة على ما يَحدث في الوسط العربي (فلسطينيو الـ48)». أمّا قطع السلاح المنتشرة بين أيدي المجرمين، فلا أحد يعرف كمّها الحقيقي؛ إذ يُقال، بناءً على تصريح لوزير الأمن الداخلي السابق، جلعاد إردان، إنها تُراوح ما بين 400 - 600 ألف قطعة، وإن أكثر من 70% منه مصدرها جنود الاحتلال، الذين يبيعونها للمنظّمات الإجرامية، ويبلّغون عن سرقتها. وفي الدوائر المعنية بأنها «سُرقت». المقارقة أن أجهزة «إنفاذ القانون وتطبيقه»، لم تَغِب إلّا حيث يجب أن تكون موجودة؛ فقد حضرت لتسلّم محاضر تحقيق سرّية لمجرمين يخضعون للتحقيق في مدينة طمرة، مثلاً، وفق ما كشفهُ بيان صادر عن الشرطة، لوسائل إعلام عبرية، في أعقاب عملية جلجولية، وصلت الجريمة إلى حوافّ المقبرة، عندما كان المشيّعون خارجين من وداع عزيز لهم، ليرصدهم ملثّم ويُردي أحدهم قتيلاً.

باختصار، المشهد عبارة عن «غابة» فعلاً، كما وصفه وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي، عومير بار- ليف، الذي يقف كيانُه، بكلّ مؤسّساته، وفي مقدّمتها الشرطة وأجهزة الأمن، وراء توسّع رقعة هذه الغابة وخروجها عن السيطرة. وهو ما عبّر عنه مسؤولون في الشرطة، لوسائل إعلام عبرية، أكثر من مرّة، بالقول: «إننا نفقد السيطرة على ما يَحدث في الوسط العربي (فلسطينيو الـ48)». أمّا قطع السلاح المنتشرة بين أيدي المجرمين، فلا أحد يعرف كمّها الحقيقي؛ إذ يُقال، بناءً على تصريح لوزير الأمن الداخلي السابق، جلعاد إردان، إنها تُراوح ما بين 400 - 600 ألف قطعة، وإن أكثر من 70% منه مصدرها جنود الاحتلال، الذين يبيعونها للمنظّمات الإجرامية، ويبلّغون عن سرقتها. وفي الدوائر المعنية بأنها «سُرقت». المقارقة أن أجهزة «إنفاذ القانون وتطبيقه»، لم تَغِب إلّا حيث يجب أن تكون موجودة؛ فقد حضرت لتسلّم محاضر تحقيق سرّية لمجرمين يخضعون للتحقيق في مدينة طمرة، مثلاً، وفق ما كشفهُ بيان صادر

النقب تنتفض ضدّ شرطة الاحتلال

تظاهر، أوّل من أمس، مئات الفلسطينيين عند مدخل قرية أبو تلول، احتجاجاً على ممارسات شرطة الاحتلال الاستفزازية، بعدما نفّذت قوات خاصّة إسرائيلية إنزالاً على سطوح أحد منازل القرية، في إطار ما تدّعي أنه حملة لـ«مكافحة الجريمة».

وردّد المتظاهرون هتافات تطالب الشرطة بكفّ اعتداءاتها عن فلسطينيّي النقب عامّةً، وأبو تلول خصوصاً، بعدما أدّى الهجومان الأخيران إلى مواجهات، أصيب فيها خمسة فلسطينيين بينهم أطفال. وفي السياق، أوضح رئيس المجلس الإقليمي للقرى غير المعترَف بها في النقب، عطية الأعسم، في حديث إلى «الأخبار»، أن التظاهرة التي شارك فيها عدد كبير جداً من الفلسطينيين، جاءت احتجاجاً على «بلطجة الشرطة واعتدائها الهمجي في أبو تلول ضدّ النساء والأطفال»، مضيفاً أن الوضع «غير مستقرّ في النقب، وأن الإجراءات التي تقوم بها الشرطة غير مقبولة على الإطلاق». وتطرّق الأعسم إلى إغلاق معبر «ميتار» – معبر الظاهرية التجاري الوحيد بين الضفة الغربية والنقب المحتلّين -، مبيّناً أن كلّ السائقين هم من النقب. ورأى في «قرار الإغلاق استهدافاً واضحاً لمصدر رزق الفلسطينيين، ومحاولة لقطع علاقتهم بإخوتهم في الضفة، بحجّة أن سكّان مستوطنة ميتار يتضرّرون من الشاحنات في ساعات الصباح». وأكد أنه «في حال استمرّت سلطات الاحتلال في استفزازها وتحريضها ضدّنا... فسنشهد تصعيداً للنضال والتحرّكات حتى وقف هذه الحملات».

سوريا

تصفية «جائرة» لمُستحقّي الدعم: هل بَقي ميسورون أصلًا؟

أظهر مسح الأمن الغذائي أن نسبة الأسر الآمنة غذائياً لم تتجاوز بنهاية العام 2020 أكثر من 5,1٪ (أ ف ب)

زياد غصن

منذ ما يزيد على خمسة عشر عاماً، وعبارة «إيصال الدّعم إلى مستحقّيه»، تُمثّل شعاراً ثابتاً في البيانات والخطابات الرّسمية. لكن الحكومات المتعاقبة كافّة دائماً ما كانت تتحاشى ترجمة هذا الشعار عملياً، باعتبار الدّعم جزءاً من عقد اجتماعي أُنجز منذ عدّة عقود، مفضّلةً في مقابل ذلك معالجة مشكلة ارتفاع فاتورة السلع والخدمات المدعومة بإجراء زيادات تدريجيّة على أسعارها. بدأت تلك الزيادات بشكل واضح عام 2008، وتحوّلت لاحقاً إلى خطوة معتادة أو متوقّعة سنوياً منذ عام 2013. لكن ما حصل قبل بضعة أيام، هو تسريب وثيقة صادرة عن اللجنة الاقتصادية في مجلس الوزراء، تضمّنت تحديداً لحوالى 31 شريحة وُصفت بـ«الميسورة»، سيتمّ استبعادها من دائرة الدعم الحكومي المُقدّم عبر البطاقة الإلكترونية، الأمر الذي أثار موجة انتقادات وردود فعل شعبية غاضبة، عُبّر عنها بأشكال متعدّدة عبر شبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، وحمل بعضها رسائل سياسيّة واجتماعية، للدلالة على خطورة الوضع المعيشي الراهن.

وعلى رغم وجود إجماع عام على ضرورة إخراج الشرائح الميسورة من دائرة الدعم الاستهلاكي، والمحافظة على استمرارية الدعم الإنتاجي ستنعكس سلباً، وذلك لعدّة أسباب من أهمّها: غياب قواعد بيانات دقيقة وموضوعية، واستحالة وجود مؤشّرات دخل حقيقيّة نتيجة غياب الثقة بين الحكومة والمواطنين منذ مدّة طويلة»، بالإضافة إلى أن «الاعتماد على المهنة أو الملكية دون الدخل، غير دقيق على الإطلاق». ولعلّ من أبرز الانعكاسات السلبية لما تقدّم، «تقديم حوافز سلبية للمنتجين وأصحاب الأعمال والمهنيين كي لا يكونوا شفّافين مع الحكومة».

اعتمادات كبيرة

تنطلق الحكومة في مبرّراتها لإعادة هيكلة الدعم، من التكلفة المالية المرتفعة سنوياً، والتي باتت تشكّل تهديداً مباشراً لمالية الدولة وخططها الإنتاجية. إذ تُشير، مثلاً، بيانات مشروع موازنة الدولة للعام 2022، إلى أن اعتمادات بند الدعم الاجتماعي تصل إلى حوالى 5529 مليار ليرة سورية، مشكّلة بذلك ما نسبته 41% من إجمالي الموازنة. وتستحوذ الحصّة المخصّصة لدعم المشتقّات النفطية على الجزء الأكبر من تلك الاعتمادات، حيث بلغت نسبتها حوالى 48,8%، تلتها اعتمادات دعم الدقيق التمويني (43,4%). أمّا دعم الطاقة الكهربائية، فقد قُدّر بحوالى 3652 مليار ليرة، فلم يتمّ إدراجه ضمن البند المذكور أعلاه لأسباب تتعلّق بوجود تشابكات مالية كبيرة مع الجهات العامة. وبحسب ما يُشير إليه الأستاذ في كلية الاقتصاد في جامعة طرطوس، ذو الفقار عنبود، فإنه «في ظلّ ما تشهده سوريا حالياً من مشكلات اقتصادية، يتمثّل أهمّها في تنامي عجز الموازنة العامة، وحاجة الدولة إلى المزيد من الاستثمارات، فإن قضية دعم الطاقة تُعدّ واحدة من أهمّ القضايا التي يجب التعامل معها، من خلال خفض مخصصات هذا الدعم، وتحويلها إلى النشاطات الاقتصادية الأخرى».

لكن ما يُنفق فعلياً هو أقلّ بنسب متفاوتة من الاعتمادات المرصودة، وفق ما يؤكّده المدير السابق لـ«المكتب المركزي للإحصاء»، شفيق عربش، وذلك لأسباب تتعلّق إمّا بـ«عدم دقّة عمليات التكاليف المحاسبية التي تتّبعها المؤسّسات الحكومية، أو لعدم تمكّن أسر كثيرة من الحصول على مخصّصاتها من المواد والخدمات المدعومة كمازوت التدفئة والمواد التموينية مثلاً، أو لأن جزءاً من ذلك الإنفاق يذهب في سراديب الهدر والفساد». وعلى سبيل المثال، تقدّر وزارة الكهرباء، منذ عدّة سنوات، نسبة الفاقد أثناء عمليات توزيع الطاقة الكهربائية بحوالى 40٪، جرّاء أسباب فنّية متعلّقة بقِدَم خطوط الشبكة وعملية الاستجرار غير المشروع، ومع هذا فإن الهدر يُحسب من ضمن كتلة الدعم، والأمر نفسه ينسحب على الخبز وغيره.

توقيت غير مناسب

تزداد مهمّة المشروع الحكومي تعقيداً بالنظر إلى توقيت طرحه، والذي يُعتبره كثيرون توقيتاً غير مناسب في ضوء الضائقة الاقتصادية والمعيشية، إذ تُظهر المسوح الإحصائية التي أجرتها المؤسّسات الحكومية، كمسح الأمن الغذائي، أن نسبة الأسر الآمنة غذائياً لم تتجاوز بنهاية العام 2020 أكثر من 5,1٪. ويُضاف إلى ما تقدّم أن المشروع يأتي في أعقاب سلسلة زيادات سعرية أجرتها الحكومة، لا بل إن المُنتظَر كان العكس تماماً، أسوةً بما تمّ اتّخاذه من إجراءات اقتصادياً». ولأجل ذلك، بدأت الشرطة شنّ حملات تستهدف مَن تقول إنهم، إمّا يموّلون الجريمة وإمّا يوفّرون المال لعناصر إجراميين، أو المتورّطين في مخالفات وتبييض أموال وجرائم مالية ومخالفات ضريبية. وبينما لا يمكن إنكار حقيقة أن أحد الوجوه الأساسية للجريمة في الـ48، هو الجريمة الاقتصادية، وأنّ المتورّطين فيها بالجملة، مستهدفة أصحاب المصالح في كلّ من الجليل والمركز والنقب، تبدو أقرب إلى العقاب الجماعي، والسياسات الاستفزازية العنصرية التي تنتهجها الشرطة ضدّ الفلسطينيين، نتيجة وقوفهم إلى جانب شعبهم في أيار المنصرم. وهو ما تجلّى في مدينة عرابة خصوصاً، حيث قادت «اللجنة الشعبية» احتجاجات على الممارسات العقابية بحقّ أصحاب المصالح التجارية، لتواجهها الشرطة وسلطات الضرائب وإنفاذ القانون بتسطير المخالفات «عن جنب وطرف». وأمّا النقب المنسيّة، حيث القرى غير المعترف بها إسرائيلياً، والتي تحيا من دون الحدّ الأدنى لشروط العيش، من ماء وكهرباء وبنى تحتية وصحّية وتعليمية، فقد طاولها نصيب من المداهمات والاعتقالات، وصولاً إلى تنفيذ إنزال بقوات خاصّة من مروحيّات على أسطح البيوت، كما حدث في قرية أبو تلول.

> لم تغب الشرطة وأجهزة «إنفاذ القانون وتطبيقه» إلّا حيث يجب أن تكون موجودة

في المحصّلة، مَن خلق بيئة الإجرام في الأراضي المحتلّة ليس إلّا سلطات العدو بأذرعها المختلفة، التي تسبّبت في أن يحيا فلسطينيو الـ48 منتظَرين موتهم على أيدي قتَلة ومتنقّلين، يتغذّون من وجود الاحتلال، الذي يتغذّى هو، في المقابل، على توسيعهم رقعة أعمالهم وتطويرها. أمّا صحوته الأخيرة، فليست إلّا لأنه بدأ يكتوي بالنار التي أشعلها بنفسه.

> تزداد مهمّة المشروع الحكومي تعقيداً بالنظر إلى توقيت طرحه والذي يعتبره كثيرون غير مناسب

نشهد العكس: خروج الدولة من لعب دورها الحيوي في الجانب الاقتصادي في أصعب المراحل». ويجزم الباحث الاقتصادي أن الإجراءات الحكومية، إن استمرّت، ستكون لها «آثار تضخّمية على الاقتصاد، إضافة إلى ما ستُحدثه من تشوّهات في الأسعار». وهو ما ينبّه إليه أيضاً عنبود، وتحديداً لناحية إصلاح الدعم المُخصَّص للطاقة؛ «ففي ظلّ تعدّد التشابكات الاقتصادية لهذا القطاع، وتزايد تضرّر الفئات الأكثر فقراً، فإن عملية الإصلاح قد تؤثر على معيشة وجودة الحياة في المجتمع السوري». ومع ذلك، يعتقد عنبود «أن عملية إلغاء دعم الطاقة بشكل تدريجي، وتوجيه مخصصات هذا الدعم إلى استثمارات تنموية أخرى، والحدّ من تضرّر الفئات الأكثر فقراً، من شأنه أن يُسهم في زيادة معدّلات النمو الاقتصادي وخفض معدّلات التضخم وعجز الموازنة العامة». لكنّ المفارقة أن هذا ما كانت تقوله أيضاً الحكومات السابقة لعمر الأزمة، لتكون النتيجة مزيداً من الفقر، وتراجعاً في العملية الإنتاجية والتنموية.

الحدث

تعادُل سلبي في فيينا: أوراق إيرانية على طاولة الغرب

في انتظار ما سيحمله استئناف المفاوضات النووية في فيينا الأسبوع المقبل، يبدو من الواضح أن الشوط الأوّل من الجولة السابعة التي شهدتها الأيام الخمسة الماضية، لم يُسجّل أيّ خروقات مهمّة. باستثناء ما وضعه الوفد الإيراني على الطاولة من وثيقتَين تحملان اقتراحات قد يُبنى عليها الاتفاق المقبل، في حال التوصّل إليه

أوضح باقري كني أن المقترحات الإيرانية تستند إلى بنود في اتفاقية عام 2015 (أ ف ب)

طهران ــ **وحيد صمدي**

انتهى، أمس، الشوط الأول من جولة المفاوضات النووية الجديدة، بين إيران و«مجموعة 4+1» (روسيا والصين وبريطانيا وفرنسا + ألمانيا) في فيينا، بالتعادل السلبي. إلّا أن ذلك لم يمنع الجانب الغربي، وخصوصاً الأميركي، من الاستفادة منه لامتصاص الصدمة التي خلّفها الأداء الهجومي والتكتيكي للوفد الإيراني، الذي نزل في فندق بالايس كوبورغ، بفريق متخصّص

> ولّد التكتيك الإيراني إرباكاً لدى الجانبين الأوروبي والأميركي في فيينا

في عدّة مجالات. وفي هذا السياق، أفاد مصدر مطّلع على المحادثات بأن «المفاوضات لم تكن إيجابية ولا سلبية»، مضيفاً إنّها «كانت بين بين».

وقبيل بدء الجولة الجديدة، كان الجانب الغربي حريصاً على تطبيق خطّة «إلقاء اللوم» على إيران، والترويج لكون طهران لا ترغب في المجيء إلى طاولة المفاوضات، طمعاً في شراء الوقت لتطوير برنامجها النووي. كذلك، حاول الطرف الغربي أن يظهّر الجانب الإيراني كأنّه الفريق الخاسر مسبقاً، لأنّه هو الذي يبالغ في مطالبه ولا يريد العودة إلى التزاماته، وفق الاتفاق النووي. وعلى هذا الصعيد، قال المبعوث الأميركي المكلّف بالملفّ النووي الإيراني، روبرت مالي، أواخر الشهر الماضي، إن سلوك طهران «لا يبشّر بالخير بالنسبة إلى المحادثات»، متّهماً إياها بالمماطلة والتقدّم في برنامجها، بشكل يقرّبها بدرجة كبيرة من مرحلة تطوير قنبلة نووية.

إلّا أنّ إيران واجهت هذا التكتيك بخطّة مضادّة، وهو ما ولّد إرباكاً لدى الجانبَين الأوروبي والأميركي في فيينا، حيث طلبت الترويكا الأوروبية، مرّات عدّة، السماح بالرجوع إلى العواصم، أو التشاور مع الوفد الأميركي، على اعتبار أنّ نظيره الإيراني حضر بأمر ملّاي لم تكن في الحسبان، بينما زوّد نفسه باختصاصيين في السياسة والاقتصاد والشؤون المصرفية والنفطية والقانون الدولي والعقوبات. وعقب ذلك، قام الفريق الإيراني بحركته الهجومية، عبر وضع وثيقتَين على طاولة المفاوضات، تتعلّقان بإلغاء الحظر والالتزامات النووية، فيما أفيد بأن لديه وثيقة ثالثة من المقرّر أن يقدّمها، بعد دراسة إجابات الجانبين الأوروبي والأميركي على مقترحاته ضمن الوثيقتَين الأولى والثانية.

وفي هذا السياق، قال كبير المفاوضين الإيرانيين، علي باقري كني، عقب اجتماع لجنة التنسيق المشتركة للاتفاق النووي، إن «المقترحات الإيرانية بشأن إلغاء الحظر والقضايا النووية، مطروحة على الطاولة»، مضيفاً إن «الأطراف الأخرى ارتأت ضرورة التشاور في العواصم». كذلك، أفادت مصادر «الأخبار» بأن «باقري شدّد في حديثه إلى الوفود الغربية، على أنه لا يمكن أن تستمرّ العقوبات، بينما تطالبون بعودة واشنطن إلى الاتفاق». وأشارت المصادر إلى أن «هذا المضمون مثّل محور مواقف باقري كني خلال الأيام القليلة الماضية». وكان المسؤول الإيراني قد أوضح، أول من أمس، أن المقترحات الإيرانية تستند إلى بنود في اتفاقية عام 2015، وبالتالي لا يمكن دحضها من جانب القوى الغربية. ثمّ أعلن، أمس، أنه «بناءً على ذلك، أتيحت للطرف الآخر فرصة استئناف المحادثات في فيينا، الأسبوع المقبل، بعد التشاور في عواصمهم، لفترة وجيزة».

في هذه الأثناء، عمدت وسائل إعلام إسرائيلية، من بينها موقع «والا»، إلى الترويج لـ«تسريبات» تتحدث عن أن الوفود الغربية رفضت المقترحات الإيرانية، خلال اجتماع يوم أمس، وسترفضها بشكل كامل خلال الجولة المقبلة، بعد التشاور مع العواصم. وردّاً على ذلك، قال الخبير السياسي الإيراني، هادي محمدي، في حديث إلى «الأخبار»، إن «ردّ الفعل الأولي للجانب الغربي، الذي نستشفّه من خلال وسائل إعلامه، يأتي في إطار تكتيك المرحلة الأولى، وهو إظهار أن إيران هي السبب الرئيسي في فشل المفاوضات، وهي ليست مستعدة للعودة إلى التزاماتها الواردة في اتفاق عام 2015». وأشار محمدي إلى أن «واشنطن تسعى إلى خلق مناخ سلبي ضد إيران، الأمر الذي بدأت به قبيل بدء المفاوضات وواصلته خلال المحادثات، وستستمر فيه حتى الأسبوع المقبل، بالتزامن مع عودة الوفود إلى فيينا، وذلك كي تشكّل أداة ضغط على الوفد الإيراني، بهدف إبعاده عن مطالبه بشأن إلغاء العقوبات كافة، وفق اتفاق عام 2015». ورأى محمدي، في هذا المجال، أن «الجانب الأميركي لديه سيناريو محدّد»، موضحاً أن «واشنطن لن تعود إلى الاتفاق النووي، وليست مستعدة لإلغاء العقوبات، إلّا إذا قبلت طهران بإلغاء جزئي للحظر، وأعطت الحدّ الأقصى من التنازلات، علاوة على عودتها إلى التزاماتها كافةً، وفق الاتفاق النووي».

العراق

الصدر ينفتح ولا يتنازل: هدنة في انتظار القضاء

لم يأتِ زعيم «التيار الصدري»، مقتدى الصدر، إلى الاجتماع مع قادة «الإطار التنسيقي»، بحلّ لأزمة نتائج الانتخابات التي يقول الأخيرون إنها خضعت لعملية «تزوير» واسعة النطاق، وإنما لتثبيت «زعامته للشيعة» في العراق. محاولاً التعامُل «بأبوية» مع القوى السياسية المعارضة له، على أن التقدّم الوحيد الذي قد يكون تحقّق في هذا الاجتماع، هو كسر الجليد وفتح باب الحوار، وتكريس حقيقة أن الطرفين لا يرغبان في مواجهة متصاعدة ليست في مصلحة أيّ منهما

بغداد - **سَرى جيّاد**

سعى مقتدى الصدر، في اجتماعه مع قادة «الإطار التنسيقي»، أوّل من أمس، إلى تقديم المعارضة «الشيعية» لنتائج الانتخابات الأخيرة، على أنها حالة اعتراضية محدودة على سياق حتمي أفرزته الانتخابات، يجب أن يفضي إلى عملية إصلاحية تبدأ بإقامة حكومة أغلبية. وصدّر معاونو الصدر ذهابه إلى الاجتماع، على أنه تحرّك استيعابي يهدف إلى معالجة حالة حزد أفرزتها خسارة قوى «التنسيقي»، لا لازمة ناتجة من «تزوير» محتمَل أدّى إلى تغيير النتائج، وذلك من خلال تقديم تطمينات إلى القوى المعنيّة، مع عرض إشراكها في العملية السياسية، إنّما من موقع الخاسر، لا الشريك. وفي هذا الإطار، يقول القيادي في «التيار الصدري»، منافٍ الموسوي، لـ«الأخبار»، إن «الاجتماع برهن على أبوّة السيد الصدر، فعلى رغم أنه يمتلك الكتلة الأكبر، إلّا أنه هو الذي جاء إلى الإطار التنسيقي لحلحلة الإشكالية الموجودة»، مضيفاً أن «ذلك لا يعني أنه بنتيجة اللقاء أو الحوار قد تخلّى عن المشروع التغييري، وهو الذهاب إلى حكومة أغلبية. وقد بيّن ذلك من خلال تغريدته التي أطلقها بعد الاجتماع، لكن بالنتيجة، هو أيضاً يريد أن يخفّف من الأزمة، ويريد أن يعطي ضمانات للشركاء السياسيين، خصوصاً أنه في لقاءات سابقة قال: دعونا نشارك جميعاً في عملية الإصلاح».

وفي حين يتضارب هذا الحديث مع الأجواء التي أشاعها الطرف المقابل في خلال انعقاد الاجتماع، حيث سرّب معلومات عن اتفاق على عدم التجديد للرئاسات الثلاث، ورفع اعتصامات المعترضين على النتائج، فذلك يعني أن قراءة موازين القوى وفقاً لنتائج الانتخابات، حتى في صيغتها الحالية، متعارضة بين الطرفين، ما يشي باستمرار الأزمة، وإن كان اللقاء بذاته فتح كوّة في جدارها، عبر طريق إظهار رغبة الطرفين في تخفيف الأجواء الصدامية التي أعقبت عملية الاقتراع، وفتحت البلد على احتمالات التأزيم كلّها، بما فيها الأمني. ذهب الصدر إلى الاجتماع ليقول إن الانتخابات كرّسته الممثّل الأوّل لـ«الشيعة» والمفوّض بالتغيير، وإن القوى السياسية «الشيعية» الأخرى أمام خيارَين: الأوّل هو الالتحاق به بصفته هذه، والتعاون معه في تنفيذ ما يقتضيه مشروعه «الإصلاحي»؛ والثاني الاصطفاف ضمن المعارضة السلمية وانتظار الاستحقاق المقبل لتُجرّب حظّها مرّة ثانية. وإذ يملك الصدر السلاح الأقوى الآن في ظلّ إصرار مفوّضية الانتخابات على نتائجها، مع رفض إعادة الفرز اليدوي الشامل لها وفق ما يطالب به «الإطار التنسيقي»، فهو يتجاهل ادّعاء المعارضين وجود «تزوير»، ويقلّل من قدرتهم على امتلاك «فيتو» حتى بحجمهم النيابي وفق النتائج المُعلنة، والأهمّ من خلال قدرتهم على الأرض، التي أثبتوا في الأسابيع اللاحقة للانتخابات أن بإمكانهم بواسطتها ممارسة تأثير كبير يمنع أخذ العراق في اتّجاهات لا يوافقون عليها.

كما ينطوي التقييم «الصدري» لنتائج الانتخابات، على تغافل، قصداً أو بغير قصد، عن واقع أن ما يسمّى «المشروع الإصلاحي» إنّما يمثّل الوجه الأوّل للانتقال إلى مرحلة أخرى، والذي لا يمكن فصله عن الوجه الثاني المتمثّل في تغيير الاصطفاف الإقليمي للبلد، وهو ما لم يُخفِ الصدر رغبته فيه، ليس لمناسبة هذه الانتخابات فقط، وإنّما على طول مسيرته السياسية؛ إذ يرى أن تلك القضية، وبالتحديد في جانبها المتّصل بالعلاقة مع طهران، هي من الأمور التي استُفتي عليها العراقيون في الاستحقاق الأخير. أمّا الوظيفة الأساسية لزيارة الصدر منزلَ هادي العامري، حيث عُقد اللقاء، وهي تخفيف التوتر، فأكدها عضو المكتب الاستشاري للصدر، صادق الحسناوي، بقوله لـ«الأخبار»، إن «ما نتج من اللقاء يبشّر بتكسير الجليد وتجسير الفجوات بين القوى السياسية، وما تشكيل اللجان التنسيقية إلّا دليل على استمرارية الحوار، حتى الوصول إلى تفاهمات تشكّل بموجبها الحكومة العراقية على أسس وطنية لامحاصصاتية كما كان سائداً، ولعلّ الأيام المقبلة تحمل بين طيّاتها نتائج أكبر وأتمّ». واعتبر أن «الاعتراض على نتائج الانتخابات مسألة طبيعية، فلم تمرّ انتخابات إلّا ولازمتها اعتراضات على النتائج، وطعون قانونية تأخذ مجراها ومسارها الطبيعي. وهذه الانتخابات، كغيرها، جوبهت نتائجها باعتراضات أعتقد أنها لن تتجاوز حدود الاعتراض القانوني.

ذهب الصدر إلى الاجتماع ليقول إن الانتخابات كرّسته الممثّل الأوّل لـ«الشيعة» والمفوّض بالتغيير (دار الإفتاء)

تركيا

إردوغان ماضٍ في «حربه»: لا أهلاً بدُعاة رفع الفائدة

على رغم التّدهور المتسارع وغير المنقطع في قيمة العملة التركيّة، لا يزال رجب طيب إردوغان مصرّاً على المُضيّ قُدُماً في سياساته الاقتصادية القائمة على تخفيض الفوائد، إصراراً يرافقه حرصٌ على إبعاد كلّ المعارضين لتلك السياسات، خصوصاً في المواقع الحسّاسة من مثل وزارة المالية وحاكمية المصرف المركزي. وفي هذا الإطار تحديداً يأتي قرار إعفاء وزير المالية لطفي الوان، وتعيين نور الدين نبطي بدلاً منه، علماً أن الأخير لا يفتأ يؤكّد انخراطه في ما يسمّيها إردوغان «حرب الاستقلال الاقتصادية»

محمد نور الدين

تشهد تركيا، منذ فترة، تخبُّطاً كبيراً على المستوى الاقتصادي، ولاسيّما في كيفيّة وقف التدهور المتسارع في قيمة الليرة إزاء الدولار. وبعدما بتّت زيارة ولي عهد أبو ظبي، محمد بن زايد، أنقرة، أملاً بإمكانية تصحيح هذا الوضع عبر ضخّ عشرة مليارات دولار كاستثمارات في الداخل التركي، وما نتج من هذا الإعلان من تحسّن فوري في قيمة الليرة، عاد التدهور بعد أيام قليلة فقط من الزيارة، لتتراجع العملة إلى مستويات قياسية جديدة أمس، مع ملامستها عتبة الـ14 ليرة مقابل الدولار الواحد. في هذا الوقت، ومع استمرار اعتماده سياسة تغيير الأشخاص سواءً في البنك المركزي أو في وزارة المالية والخزانة، عمد الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، أوّل من أمس، إلى إعفاء وزير المالية والخزانة، لطفي الوان، وتعيين نائبه نور الدين نبطي مكانه. وبذلك، يكون الوان قد أمضى سنة كاملة من ولايته، بعدما كان قد عُيّن في المنصب في العاشر من تشرين الثاني من العام الماضي، بدلاً من برات البيرق، صهر إردوغان، الذي تولّى الوزارة في تموز 2018، واستقال في 8 تشرين الثاني 2020، ليصبح لترکيا، بحسب صحيفة «قرار»، وزير جديد للمالية كلّ عام، علماً أن سعر صرف الدولار لدى تسلّمَ البيرق الوزارة كان 4,80 ليرة، بينما تراجعت العملة المحلّية لدى استقالته إلى ثماني ليرات مقابل الدولار، لتقترب الآن من 14 ليرة. والحال نفسه ينسحب على حاكمية المصرف المركزي، الذي تناوَب على رئاسته خلال سنوات قليلة أربعة حكّام، هم: مراد شيتينكايا من 2016 إلى 2019، ومراد أويصال الذي بقي لسنة، ومن ثمّ ناجي أغبال الذي استمرّ أيضاً سنة، ليُعيَّن خلْفه شهاب قاوجي أوغلو في آذار 2021 ويظلّ في منصبه إلى الآن.

وجاء إعفاء الوان بعدما رفض الاستمرار في سياسات إردوغان الاقتصادية القائمة على أساس تخفيض الفوائد، ورفع سعر الصرف، وزيادة حجم الصادرات، وترخيص اليد العاملة، وخفض العجز في الميزان التجاري. إذ رأى الوزير المقال أن مهمّة حماية سعر الصرف هي من مسؤولية البنك المركزي، بينما تخفيض العجز هو من مهمّة الحكومة، ليتناقض بذلك مع سياسة السلطة والبنك المركزي، وهو ما دفع إردوغان إلى القول في اجتماع حزبه الأخير: «في هذه المعركة، لا يمكن الاستمرار مع رفاقنا من الذين يدافعون عن أسعار الفائدة»، الأمر الذي قوبل بعاصفة تصفيق لم يشارك فيها الوان. في المقابل، يُعتبر نبطي، الذي كان الوحيد من بين جميع نواب وزير المالية السابقين الذي لم يتمّ إعفاؤه في أعقاب تعيين الوان، من فريق عمل برات البيرق، ولذا فقد نُظر إلى تعيينه على أنه امتداد لسياسات الأخير. وانتُخب نبطي نائباً ثلاث مرّات، ممثّلاً الخطّ الإسلامي الذي يحتضن معظم الجمعيات ذات الطابع المتشدّد، من مثل «نشر العلم» و«رجال الأعمال المسلمين الشبان» و«أنصار» و«وقْف تركيا للشباب» و«أوندير». ويُرفع الرجل، الذي يؤخذ عليه أنه لم يحصّل تعليماً اقتصادياً، شعاراً مفاده أن الفائدة هي سبب الأزمة، وأن التضخّم مجرّد نتيجة. وهو يعتبر أن أولى الأولويات، وفقاً لما ذكره في حفل التسلّم والتسليم، تتمثّل في خفض الفوائد العالية وتعزيز فرص الاستثمار والاستخدام. وفي إشارة إلى كلام إردوغان عن «حرب الاستقلال الاقتصادية»، يقول نبطي: «لقد دخلنا طريقاً جديداً مع الرؤية الاقتصادية المستقلّة بالكامل التي يحلم بها رئيسنا وأمّتنا». ويدافع رئيس البنك المركزي الجديد، شهاب قاوجي أوغلو، الذي تمثّلت أولى مهامه في التدخّل في السوق بحوالى مليار دولار، بدوره، عن سياسات إردوغان الجديدة، متوقّعاً ظهور نتائجها الإيجابية خلال ستّة أشهر، لافتاً إلى أن احتياطي تركيا من العملة الصعبة يواصل الارتفاع، وقد وصل إلى حدود 130 مليار دولار.

> فتح اللقاء كوّة في جدار الأزمة عن طريق إظهار رغبة الطرفين في تخفيف الأجواء الصدامية

ويذكر وزير المالية الجديد، في مقابلة معه عام 2015، أنه من مواليد عام 1964 في فيران شهر، وأنه ينتمي من عشيرة النعيمي العربية المنتشرة في تركيا وسوريا، كما أنه من سلالة النبي محمد. ويُنقل عن والده سليمان أنّه كان يقول لأولاده: «إنني أترك لكم سبع سلالات تكفيكم، لكنني لم أكل مالاً بلا زكاة، وأنتم لا تأكلوا مال أحد». ويقول نور الدين نبطي، في المقابلة نفسها: «نحن عشرة أخوة. وأنظر إلى رئيسنا (إردوغان) على أنه الأخ الحادي عشر». وتفيد صحيفة «جمهورييت» بأن الوزير الجديد سيتلّ راتبَين: راتب الوزارة وهو 32 ألف ليرة تركية، وراتب عضو هيئة «تورك تيليكوم»، والذي يقارب مع الإضافات 33 ألف ليرة تركية. وانتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي، على نطاق واسع، صورة تجمع نبطي إلى الداعية فتح الله غولين، أثناء زيارة للأوّل إلى مقرّ إقامة الأخير في بنسلفانيا الأميركية، قبل خلاف غولين مع إردوغان. والجدير ذكره، أيضاً، أن نبطي يُعدّ صاحب اقتراح إغلاق بيوت الدعارة الرسمية في تركيا، والذي لم يمرّ.

على أيّ حال، تثير سياسة إردوغان الجديدة في الاقتصاد، شكوكاً في إمكانية نجاحها. ومن بين المنتقدين لخطواته الأخيرة، وزير الاقتصاد السابق ما بين 2003 و 2008، ورئيس حزب «الديموقراطية والتقدّم» علي باباجان، الذي اعتبر أن «مثل هذه السياسات لن تُحقّق نموّاً مستداماً، لأن الفرق بين اليوم والأمس هو أن تركيا كانت تسير تحت مظلّة الاتحاد الأوروبي ومعايير كوبنهاغن والديموقراطية والقانون والحريات. أمّا اليوم، فالنموذج التركي الجديد يتميّز بحاكميّته المطلقة وبنحو نحو نموذج شرق آسيا». ويلفت رئيس الحكومة السابق، ورئيس حزب «المستقبل» أحمد داوود أوغلو، بدوره، إلى أن «تركيا غيّرت بين عامَي 1998 و 2018، أي على امتداد عشرين سنة، خمسة وزراء مالية. لكن منذ عام 2018، تاريخ إقرار النظام الرئاسي الجديد، تغيّر ثلاثة وزراء مالية. هذا اسمه انهيار المؤسّسات». وأعاد الكاتب علي بيرم أوغلو، من جهته، الانهيار الحالي إلى انعدام الثقة، بسبب التصريحات «غير المسؤولة» لإردوغان من وقت لآخر، فيما يرى الكاتب عصمت بركان أن «عمر السلطة انتهى وإردوغان يعيش قحطاً كبيراً وهو في مأزق لا خروج منه». وفي الاتجاه نفسه، يعتقد مراد يتكين أن كلّ سياسات إردوغان تحاول أن تخدم معركته الرئاسية في انتخابات 2023، و«ما يقوم به اليوم هو اقتصاد انتخابي، وليس أيّ شيء حقيقي آخر».

> جاء إعفاء الوان بعدما رفض الاستمرار في السياسات القائمة على تخفيض الفوائد

أمّا الصحافية فيغين تشالي قوشو فتُورد، في صحيفة «قرار»، أن «31 مليون تركي لا يتناولون اللحوم والدجاج والسمك، وأن 16 مليوناً لا يحظون بالتدفئة، وأن 23 مليوناً يعانون من الفقر. وفي الأشهر الخمسة الأولى من عام 2021، لم يستطع أكثر من مليون ونصف مليون تسديد اشتراكاتهم الكهربائية، وأكثر من 674 ألف مشترك لم يسدّدوا اشتراكات الغاز الطبيعي». وتضيف تشالي قوشو أن «التضخّم بلغ العشرين في المئة، فيما الزيادات على الأسعار متواصلة». وتشير إلى أن «السلطة رفعت شعار تخفيض الفائدة يساوي تخفيض التضخّم، وقالت للناس إن سعر الصرف سيطير لكن عليكم بالصبر، من منطلق أن الفقر سيزداد، والقوّة الشرائية ستتراجع، ورغيف الخبز سيتقلّص حجمه، لكن الصادرات سترتفع، وبد العمل الرخيصة والاستثمارات التي ستأتي سوف تجعل النمو يزداد». في المقابل، يكتب عبد القادر سيلفي، المؤيّد لإردوغان، في صحيفة «حرييات»، أن «نور الدين نبطي ارتدى قميصاً من نار. لا يمكن القول إن العمل سهل، لأنه مع نموذج اقتصادي جديد، يجب في الوقت نفسه تطبيق ثورة في الذهنية، وهذا يتطلّب أوّلاً إعطاء الثقة للأسواق، لأن نصف الاقتصاد هو الثقة».

على المستوى الخارجي، رأت صحيفة «فايننشل تايمز» أن «التغييرات الحالية تفتح الباب أمام مخاطر التضخّم الإضافي وعدم الاستقرار المالي»، وأصفة ألوان بأنه «آخر أصوات الأرثوذكسية الاقتصادية» في تركيا، لافتة إلى أنه «على رغم النظرة إليه بتقدير من عالم الأعمال، لكنه كان يشعر بعزلة متزايدة وكان ضدّ تخفيض الفوائد». وأشارت «رويترز»، من جانبها، إلى أن ألوان «من التكنوقراط الأخيرين الأصداء للسوق»، مضيفة أن «انهيار الليرة الحالي هو الأكبر منذ عام 1999»، معتبرةً أن «تخفيض الفائدة سيعطي نتائج عكسية لما يريده إردوغان، والتضخّم قد يرتفع إلى ثلاثين في المئة». أمّا «دير شبيغل» الألمانية فوصفت تركيا بـ«سفينة التايتانيك التي تغرق، في حين ينقل أوزغين آجار في «جمهورييت»، عن تيموثي آش من مؤسسة «بلوباي بورت فاي»، أن إردوغان في «وضع غير سويّ. إنه ملك عار، وهو في الطريق ليصطدم بجبل الجليد الكبير».

تأثير سياسة إردوغان الاقتصادية الجديدة شكوكاً في إمكانية نجاحها (أ ف ب)

قضية

غيومٌ في أفق السلام البوسنة والهرسك تستعيد كابوسها

تُمثّل خطوات تفكيك المؤسّسات الدستورية المركزية للبوسنة والهرسك، والتي بدأ صرب البوسنة بالدفع نحوها من خلال إجراءات عملياتية، «أخطر تهديد وجوديّ» على دولة ركّب نظامها السياسي الهجين اتفاقُ «دايتون»، الذي انهى حرباً مورس فيها «كلّ مايمكن تخيّله من انتهاكات لحقوق الإنسان». حربٌ يعود شبحها اليوم ليخيّم على البلاد، مُنذراً بسيناريوات مستقبلية قاتمة، تتداخل فيها السياقات الداخلية والخارجية، والتي لا تبدو صربيا وروسيا، على وجه الخصوص، بعيدتَين منها

صهيب العنّار

عاد شبح حروب البلقان ليُؤرّق البوسنيين من جديد، ويهدّد وحدة أراضي البوسنة والهرسك، بعد مرور أكثر من ربع قرن على اتفاق «دايتون» الذي أنهى الحرب الثالثة (1992 ـ 1995)، من دون أن يتمكّن من بناء دولة حقيقية يمكن لها أن تستمرّ. فالأزمات المتلاحقة التي سبّبها النظام السياسي المركّب والهجين، الناتج من «دايتون»، بلغت الذروة

> **للبوسنة والهرسك 3 رؤساء و13 حكومة وبرلماناً ومئات الوزراء والنواب**
>
> **لموسكو في منطقة البلقان مصالح حيوية إذ تشكّل هذه المنطقة «خاصرةً رخوة» لأوروبا**

أخيراً، مع جنوح المكوّن الصّربي داخل الدولة إلى خطوات انفصالية، وصفها الممثل السّامي للمجتمع الدولي في البوسنة والهرسك، كريستيان شميت، بـ«أخطر تهديد وجودي» على الدولة منذ انتهاء الحرب عام 1995. تلك «الخطوات المتطرّفة» فنّدها زعيم صرب البوسنة، ميلورد دوديك، بحديثه عن نيّة للانسحاب من المؤسّسات المركزية والرئيسة للدولة، من الجيش والاستخبارات إلى المحكمة الدستورية، وصولاً إلى إدارة الضرائب وغيرها الكثير، وتعهّده بإنشاء جيش خاص بصرب البوسنة خلال الأشهر المقبلة، وهو ما عدّه شميت، في تقرير للأمم المتحدة، بـ«مثابة انفصال غير مُعلن».

وعلى رغم الوضوح الذي عبّر عنه دوديك حول سعيه إلى تحقيق «استقلال ذاتي كامل» لصرب البوسنة، إلّا أنه نفى أن تكون لديه نيّة للانفصال، مؤكداً أنه «لا حرب، ولن تكون هناك حرب، ولا احتمال للحرب». لكنّ الممثل السّامي يرى العكس، إذ حذّر شميت من أن «خطر الحرب أكثر جدّية»، مشيراً إلى إمكانية نشوب اشتباك بين وكالات إنفاذ القانون المركزية وشرطة صرب البوسنة، وهو ما يستدعي، بالنسبة إليه، «إعادة تقييم» حجم القوة العسكرية الدولية التي تمّ نشرها في البلاد، بعد إبرام اتفاق «دايتون» (جدّد مجلس الأمن الدولي مهمّتها لمدّة عام، في بداية تشرين الثاني 2021). ولم تقلّ حدّة موقف الولايات المتحدة، الدولة التي رعت اتفاق «دايتون»، عن تلك التي عبّر عنها الممثل السامي، إذ وصفت المندوبة الأميركية، ليندا توماس ـ غرينفيلد، خلال جلسة لمجلس الأمن الدولي، ما يقوم به دوديك بـ«التهديد الخطير». ولتأكيد التزامها بـ«سيادة البوسنة والهرسك»، أوفدت الإدارة الأميركية إليها مستشار وزارة الخارجية، ديريك شوليت، الذي التقى أعضاء المجلس الرئاسي. كذلك، أوفدت مسؤول ملفّ غرب البلقان في وزارة الخارجية، غابريل إسكوبار، الذي حذّر «جمهورية الصرب» من أن انسحابها من المؤسّسات المركزية «سيلحق الضرر» بها، مؤكداً أن مصلحة الجميع «تكمن في العودة إلى الطاولة»، أي في الحوار.

الحرب... ما قبلها وما بعدها

يعيش في البوسنة والهرسك، التي تحدّها صربيا من الشرق وكرواتيا من الشمال والغرب، ثلاثة مكوّنات عرقية رئيسة، هي (بالترتيب نسبةً إلى عدد السكان): البوشناق (أغلبهم مسلمون)، والصّرب (تتبع غالبيتهم الكنيسة الأورثوذكسية)، والكروات (تتبع غالبيتهم الكنيسة الكاثوليكية). وهي كانت تشكّل إحدى جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية. ومع بدء تفكّك الأخير، في الفترة التي تلت انهيار الاتحاد السوفياتي، صوّتت غالبية البوسنيين، في استفتاء شعبي أُجري عام 1992، لمصلحة الاستقلال عن الاتحاد اليوغسلافي. فاجأت النتيجة يومها صرب البوسنة بقيادة رادوفان كاراديتش، ومِن خَلفهم صربيا، التي كانت قد هدّدت بضمّ الأراضي البوسنية إليها، بالقوّة، في حال اتخاذ البوسنيين قرار الانفصال. وهو ما حصل بالفعل؛ ففي نيسان من ذلك العام، وبعد أيام على إعلان البوسنة والهرسك استقلالها، شنّ قائد صرْب البوسنة هجوماً عسكرياً باتجاه العاصمة سراييفو وأطبق الحصار عليها، قبل أن يتوسّع نحو مناطق أخرى. وقد أسفرت الحرب التي امتدّت حتى عام 1995، وفق الأمم المتحدة، عن أكثر من 200 ألف قتيل، ونزوح قرابة 2,7 مليون شخص من البوسنيين من منازلهم، وشهدت انتهاكات لحقوق الإنسان وإعدامات، من التطهير العرقي والاغتصاب، إلى الإعدام الجماعي والتجويع». ووفق أرقام «البنك الدولي»، انحدر عدد سكّان البوسنة والهرسك من قرابة 4 ملايين ومئتي ألف نسمة قبل اندلاع الحرب، إلى قرابة 3 ملايين وثمانمئة ألف نسمة عند انتهائها، ما يعكس الرقم المرتفع لعدد القتلى ومَن دُفعوا إلى مغادرة البلد. والظاهر، وفق الأرقام الرسمية، أن عملية الهجرة تلك تواصلت حتى بعد إحلال السلام، إذ يقلّ عدد السكان اليوم عن ثلاثة ملايين وثلاثمئة ألف نسمة، وهو رقم مرشّح للتناقص أكثر فأكثر، نتيجة نسبة النموّ السّكاني السلبية.

«دايتون» يوقف الحرب... ولا يُنهيها

في نهاية عام 1995، وبعد تدخّل الولايات المتحدة التي اكتفت بمراقبة عمليات «التطهير العرقي» طيلة فترة ارتكابها، أبرم اتفاق «دايتون» (نسبة إلى مدينة دايتون الأميركية حيث جرت المفاوضات). ثبّت الاتفاق التوازنات العسكرية على الأرض كما كانت لحظة إبرامه، ورسم دستور البلاد الجديد، الذي حمل في طيّاته بذور الوضع السياسي المتأزّم اليوم، إذ حافظ على وحدة تراب الدولة، إلّا أنه وضع لها نظاماً سياسياً مركباً ومعقداً، يقوم على التوافق بين المكوّنات الثلاثة، ويُعطي جميعها القدرة على تعطيل القرارات التي تتعارض مع مصالحها، مقسّماً الدولة إلى كيانَين: الأوّل «فيدرالية البوسنة والهرسك» للبوشناق والكروات، والثاني «جمهورية الصرب» لصرب البوسنة، فيما أبقى على سراييفو عاصمة للدولة. وفي وقت لاحق، جرى إنشاء مقاطعة برتشكو في الشمال الشرقي للدولة، ومُنحت حكماً ذاتياً. وفيما تُحكم «الجمهورية» بنظام مركزي، تنقسم «الفيدرالية» إلى 10 كانتونات. وقد فرضت كلّ تلك التقسيمات تشكيل كمٍّ مهول من المؤسّسات الدستورية، تأتي صربيا، الجارة الحدودية للبوسنة والهرسك، ولـ«جمهورية الصرب» فيها، بالتحديد، إذ لا يزال العامل القومي حاضراً بقوّة عند الطرفين، وهو ما عبّر عنه بوضوح، قبل أشهر، وزير الداخلية الصّربي، الكسندر فولين، في دعوته إلى «تشكيل عالم صربي»، أي توحيد الصّرب أينما كانوا». أمّا على الصعيد الدولي، فتبرز روسيا، التي تقدّم دعماً مباشراً لصرب البوسنة، ولخطوات دوديك، وفق ما أكده اعتراض المندوب الروسي، فاسيلي نيبينزيا، خلال جلسة لمجلس الأمن الدولي، على تقرير شميت، واعتباره أنه «إذا كان أيّ شخص لا يزال لديه شكّ حول حقيقة أن مكتب الممثل السّامي قد توقّف عن كونه أداة لغرض المصالحة الوطنية، فإن هذه الوثيقة المنشورة (التقرير) تزيل تلك الشكوك».

ولموسكو في منطقة البلقان مصالح حيوية، إذ تشكّل هذه المنطقة «خاصرةً رخوةً» لأوروبا، ومدخلاً من مداخلها بالنسبة إلى روسيا، وهي فضاء يسهّل على الأخيرة التحرك فيه ونسج العلاقات مع كثير من دوله، كما هو جار مع صربيا، نظراً إلى تركيبة البلقان والعلاقة التاريخية التي تربطها به. وفي هذا الإطار، يشير المحاضر في «جامعة سراييفو الدولية»، أدمير مولاوسماتوفيتش، إلى اعتقاد المفكّر الروسي وأحد منظّري الفكرة «الأوراسية»، الكسندر دوغين، بأن «المحور الجديد يجب أن يقوم على التكوين الثلاثي بين برلين وموسكو وبكين، بصفتهم حاملي هيكل الإمبراطورية الأوراسية المستقبلية»، وقناعته بأن «الدولة الرئيسة التي تضمن النفوذ الروسي في البلقان هي صربيا». وبالتالي، «يجب أن تصبح صربيا القوّة التي تهيمن على جنوب شرق أوروبا وتؤمّن الممرّات الاقتصادية إلى ألمانيا». وهنا، يشرح مولاوسماتوفيتش، في مقالة كتبها لوكالة «الأناضول» التركية، أن «العالم الصّربي الذي اقترحه القادة الصّرب ليس مفهوماً ثقافياً أو إنسانياً، بل على العكس من ذلك، فإن الأمر كلّه يتعلّق بإنشاء كيان عسكري وسياسي وأمني عابر للحدود، قادر على المشاركة في إنشاء نظام أوروبي ـ أسيوي جديد».

دوديك... يوم كان حليفاً لـ«الغرب»

ميلورد دوديك. من مواليد عام 1959. تخرّج من كلية العلوم السياسية في «جامعة بلغراد»، في صربيا. ترأس «تحالف الديموقراطيين الاجتماعيين المستقلّين» عام 1996. وانتُخب رئيساً لحكومة «جمهورية الصّرب» مرّتين في عامَي 1998 و2006، ومن ثمّ رئيساً لـ«جمهورية الصّرب» مرّتين، أيضاً، في عامَي 2010 و2014، وهو يشغل حالياً، ومنذ عام 2018، موقع العضو الصّربي في مجلس رئاسة البوسنة والهرسك. مثّل دوديك في البداية، بديلاً لـ«الغرب» من «الحزب الديموقراطي الصّربي» القومي، قبل أن تتبدّل مواقفه في وقت لاحق، إلى حدّ دفع الولايات المتحدة إلى فرض عقوبات عليه، في عام 2017، بعد اتهامه بـ«عرقلة» تنفيذ اتفاق «دايتون»، واعتباره «تهديداً كبيراً لسيادة البوسنة والهرسك». تقول وزيرة الخارجية الكرواتية السابقة، فيسنا بوسيتش، إنه «عندما اعتقد دوديك أن مستقبله يكمن مع الغرب، اعترف علناً بالإبادة الجماعية في سريبرينيتشا، ونبذ مجرمي الحرب من صرب البوسنة، وقدّم نفسه كمؤيد قوي لوحدة البوسنة ومستقبلها في الاتحاد الأوروبي»، إلّا أنه «عندما حوّل ولاءاته (...) تغيّرت سياساته وخطابه بشكل كبير. حدث ذلك تدريجياً مع مرور الوقت». وعن تجربتها الشخصية مع دوديك، تروي الوزيرة الكرواتية، في مقالة كتبتها لـ«فورين بوليسي» الأميركية، عن لقاء جمعها به في بداية العقد الأول من القرن الحالي، حيث تقول إن دوديك قال لها، خلال مناقشة دارت بينهما حول لعبة كرة القدم، إنه «في مباراة بين فريقي صربيا والبوسنة، سيشجّع بالتأكيد الفريق الصّربي، نظراً إلى أن كرة القدم في البلقان لا تتعلّق أبداً بكرة القدم فقط». تُعلّق بوسيتش على ما قاله دوديك: «حتى في ذلك الوقت، عندما كان لا يزال يُنظر إليه على أنه حليف للغرب، رأيت تعليقه كعلامة مُقلقة على حدوث تغيير في موقفه».

مركزية... لا مركزية

يرأس الدولةَ مجلسٌ رئاسي من ثلاثة أعضاء من الأعراق الثلاثة: بوسني وصربي وكرواتي، يُنتخب بشكل مباشر من الشعب، كلّ أربع سنوات، ويتناوب على رئاسته عضو من الأعضاء كلّ ثمانية أشهر. ويرشّح المجلس الرئاسي رئيساً لمجلس وزراء الدولة، ويوافق عليه برلمانها. وبالنسبة إلى السلطة التشريعية، يتألّف برلمان البوسنة والهرسك من غرفتَين، هما: مجلس النواب ومجلس الشعب. يبلغ عدد أعضاء مجلس النواب 42، لـ«الفيدرالية» 28 منهم، ولـ«الجمهورية» 14، ويُنتخب جميعهم وفق النظام النّسبي. أمّا مجلس الشعب، فعدد أعضائه 15، يُنتخبون من قِبَل بقية البرلمانات، على أن يكون لـ«الفيدرالية» 10 منهم: 5 من البوشناق و5 من الكروات، ولـ«الجمهورية» 5 من صرب البوسنة. وليمرّ أيّ تشريع، يجب أن يحصل على الأغلبية في الغرفتَين. وبالنسبة إلى النّصاب، فقد تمّ تحديده بالنسبة إلى مجلس الشعب، بتسعة أعضاء من أصل الأعضاء الـ15، على أن يكون التسعة ثلاثة أثلاث، ثلث لكلّ مجموعة عرقية من المجموعات الثلاث. يمكن اعتبار كلّ من «الفيدرالية» و«الجمهورية» إدارة ذاتية قائمة بحدّ ذاتها. تُحكم الأولى بنظام برلماني، ولها رئيس وحكومة وبرلمان منتخَب بشكل مباشر من شعبها، ولكلّ كانتون من كانتوناتها العشرة حكومة وبرلمان. أمّا «الجمهورية»، فهي تُدار بنظام رئاسي، ولها حكومة ومجلس نواب خاص بها، أيضاً.

في نهاية عام 1995 وبعد تدخّل الولايات المتحدة التي اكتفت بمراقبة عمليات «التطهير العرقي» سابقاً. أبرم اتفاق «دايتون» (من الويب)

وفيات

النائب علي عسيران ينعى الصديق والفقيد والشاعر والأديب،

فضيلة الشيخ فضل مخدّر

صاحب الرقي والخصال الرفيعة الذي رحل باكراً، مسطراً آخر كلماته من قصيدة حياته تاركاً فراغاً في عالم الشّعر والأدب والثقافة، الذي سيفتقده كلّ من عرفه.

تغمّده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنّاته وألهم محبّيه حسن العزاء.

باسمه تعالى

يتقبّل حزب الله وأهالي بلدة البابليّة وعائلة سماحة

الشيخ فضل عباس مخدّر

التعازي برحيل فقيد العلم والمقاومة سماحة الشيخ الأديب، اليوم السبت الواقع فيه 4 كانون الأول 2021.

من الساعة التاسعة صباحاً ولغاية الرابعة عصراً

ويُقام حفل تأبيني يوم الأحد الواقع فيه 5 كانون الأول 2021 الساعة الثانية عصراً في حسينية بلدته البابليّة

إعلانات رسمية

اعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لشراء علب وصل وعلب طرف 66 و150 ك.ف.، موضوع استدراج العروض رقم ث‌ك/5095 تاريخ 2021/10/8، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2022/1/7 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 200/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد الى امانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2021/12/1

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس حازم عاشور

التكليف 999

.....

فقدان سند ملكية

فُقِدَ سند ملكية برقم 1067 باسم: كارول جوزيف المسن. منطقة برّبينا العقارية. للمراجعة: 70/623036

الأخبار
al-akhbar
السبت 4 كانون الأول 2021 العدد 4505

صورة وخبر

بدأت الاستعدادات لعيد الميلاد في فلسطين. في بيت لحم، مهد ولادة المسيح، ينكبّ هذا الحرفي على صنع تماثيل من خشب أشجار الزيتون (حازم بدر ـ أ ف ب)

رسالة القاهرة

«بنات عبد الرحمن» أعلنّها ثورةً على المجتمع

القاهرة ــ **ريمياك نعمة**

القوة الناعمة التي فرضت حضورها في عروض أفلام الأسبوع الأول من «مهرجان القاهرة السينمائي الدولي» وروّاده، ليست هي نفسها تلك التي تحدّثَ عنها مدير المهرجان محمد حفظي خلال احتفال الافتتاح قاصداً السينما بصناعتها وتأثيرها، على عكس السياسة بتلاوينها وعنفها وحنكتها. إنما هي الأفلام التي تطرّقت إلى قضايا المرأة المختلفة وقهر العادات والتقاليد وتحقيق الذات، والعنف، وجسدها، ونظرة المجتمع المحافظ والحجاب. أفلام انتصرت لقضية المرأة، صنّاعها من الرجال والنساء على السواء. لكلّ سيدة معاناة خاصة ولكنّهن يتوحّدن ضد نظرة المجتمع لهن كأنّهن عورة أو عالة.

هكذا، حضرت «بنات عبد الرحمن» الأربع (الفيلم الأردني الذي عرض ضمن مسابقة «آفاق السينما العربية») يرافقهن مخرج الفيلم زيد أبوحمدان. كما حضرت مخرجات فيلم «بلوغ» السعودي، فيما شكّل «من القاهرة» مع بطلاته ومخرجته هالة جلال واحداً من أجمل الأفلام التسجيليّة التي استطاعت أن تضيء بأسلوب سردي جميل على نموذجين نسائيّين عكسا هواجس بعض النساء في مصر.

في أحد أحياء الطبقة المتوسطة في عمان، تدور أحداث «بنات عبد الرحمن» الذي استغرق تصويره وإنتاجه سبع سنوات متتالية: زينب، سماح، ختام، وآمال (صبا مبارك، وحنان الحلو، وفرح بسيسو، ومريم الباشا) أربع شقيقات يلتقين بعد فترة تباعد بحثاً عن والدهن المخطوف. لكل واحدة شخصيتها ومعاناتها وظروف حياتها وغضبها المكتوم. تجمعهن مصيبة غياب الأب، فتبدأ رحلتهن القصيرة مع البحث وفيها الكثير من حكايا الآخر (المجتمع والرجل) بكلّ ما يحمله من ظلم وخيانات وعادات وتقاليد، وظلم ذوي القربى (الأهل الجيران الزوج العم). أداء الممثلة فرح بسيسو لامس مشاعر الجمهور في صمتها وحزنها وابتلاعها لكل «فضائح» أخواتها، كما في ثورتها وغضبها على المجتمع المراوغ الذي يُدين ولا يُدان!

كذلك فعلت الممثلة صبا مبارك وهي شريكة في إنتاج الفيلم. أدّت صبا واحداً من أجمل أدوارها. وصفته في أحد لقاءاتها بـ «دور العمر». تجسّد هنا شخصية المرأة المنقبة التي تم تزويجها في عمر مبكر، وعانت ما عانته من عنف الرجل/الزوج، وكبت لمشاعرها وسيطرة الفكر الديني على سلوكها وتفاصيل حياتها... إلى أن اقترب الأمر من وحيدتها. هكذا تحوّلت المرأة الخاضعة المستسلمة إلى نمرة شرسة محاولة حماية طفلتها من زواج مبكر بكل ما أوتيت من قدرة وغضب عبّرت عنهما بأداء مفعم بالمشاعر. صبا مبارك –بالمناسبة –واحدة من أفضل الممثلات الأردنيات اللواتي يحاولن تخطي الحدود الجغرافية إلى مساحة أوسع في العالم العربي بمشاركتها في العديد من الأعمال والتظاهرات السينمائية. ومثلهما فعلت الممثلتان جنان الحلو ومريم الباشا: الأولى تلعب دور «سماح» وهي الأجرأ بين شقيقاتها، استطاعت إقناع الجمهور الحاضر باعتبارها امرأة قوية وكسرها كل التقاليد وعنفها أحياناً تجاه كل محظور، لكنها أيضاً متألّمة ولديها معاناتها الخاصة. إذ تزوجت رجلاً ثرياً دأب على خيانتها، لتكتشف في النهاية أنّه مثلي الجنس. استطاع المخرج زيد أبوحمدان تفجير كل الطاقة المخزّنة داخل جنان الحلو بكثير من الاحتراف، وكان للظرف والفكاهة مكان، أضافا طراوةً على أجواء الفيلم تماماً كما فعل المخرج مع كل ممثلاته. هدوء مريم الباشا مثلاً بالرغم من المواقف المتشنجة، بكاء فرح بسيسو المكتوم، ثورة وغضب صبا مبارك وكاركتير جنان الحلو، كأنه أخرج مارداً من قمقمه.

ساحر هذا الفيلم وجميل بكل تفاصيله وحركة كاميراته التي عكست واقع أحد أحياء الطبقة المتوسطة في الأردن وفي كل حي عربي. قصص خلف أبواب موصدة كبّرتها عين السينما التي «إما تخيب إما تصيب». وهي أصابت بالفعل مع فيلم «بنات عبد الرحمن» المرشح لنيل إحدى جوائز «مهرجان القاهرة السينمائي» الذي تُختتم دورته الـ 43 في الرابع من كانون الأول (ديسمبر) الحالي.

كوستيس غارديكيس: ليلة pop

اليوم السبت، يحيي الموسيقي والعالم اليوناني كوستيس غارديكيس (الصورة) حفلة في «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي» ضمن مشروعه الفني Dance With Invisible Partners. يصف غارديكيس موسيقاه بأنّها «موسيقى بوب ميتافيزيقية»، ومن المتوقع أن يقدّم في الموعد المرتقب مختارات من أعمال قديمة وجديدة، بالإضافة إلى نسخ معدّلة من أغنيات يونانية تقليدية. صدر ألبومه الثاني #artificial في 15 تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي وحظي بأصداء إيجابية بسبب استخدام الذكاء الاصطناعي في إنجازه. يحيي غارديكيس حفلات حول العالم، يغنّي خلالها ويعزف منفرداً على غيتاره.

حفلة Dance With Invisible Partners: اليوم السبت ـ الساعة السابعة والنصف مساءً ـ «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي» (السيوفي ـ الأشرفية). للاستعلام: 01/398986

طارق وأدهم: غزل وقصائد أخرى

بالتعاون مع «منتدى التنمية والثقافة والحوار»، يدعو «المنتدى العالمي للأديان والإنسانية»، بعد ظهر اليوم السبت إلى حضور أمسية شعرية ـ موسيقية يحييها العازف طارق بشاشة (كلارينيت) والشاعر أدهم الدمشقي (الصورة) في متحف «بيت بيروت» (السوديكو). في النشاط، سيقرأ الدمشقي نصوصاً شعرية حديثة، بعضها يتناول مدينة بيروت في إطار وجداني ـ وطني، بعيداً عن «أجواء المناسبات العامة»، وفق ما يؤكّد في اتصال مع «الأخبار». ويُضيف أنّ هناك نصوصاً ذاتية، تراوح بين الغزل ومواضيع شخصية وغيرها.

أمسية شعرية ـ موسيقية مع طارق بشاشة وأدهم الدمشقي: اليوم السبت ـ الساعة الرابعة بعد الظهر ـ متحف «بيت بيروت» (السوديكو). الدعوة عامة. (للاستعلام: 71/028969)

الصهاينة يلاحقون جورج إبراهيم عبد الله!

بدأت منظمة «بناي بريث» الصهيونية حملة سياسية وإعلامية مكثّفة ضد إدارة جامعة «بريتش كولومبيا» الكندية وطالبتها بمنع عرض فيلم «فدائيين» الذي يروي قصّة المناضل اللبناني جورج إبراهيم عبد الله المُعتقل في السجون الفرنسية منذ عام 1984.

نجحت المنظّمة في انتزاع قرار من الجامعة يقضي بتأجيل عرض الفيلم لمدة 30 يوماً لـ«تقييم الآثار الأمنيّة للفعالية» رغم عرض «فدائيين» (إنتاج فريق «فاكارام») في عشرات الفضاءات في أوروبا وأميركا الشمالية وغيرهما. في هذا الإطار، تقول المنسّقة الدولية في «شبكة صامدون» للدفاع عن الأسرى الفلسطينيّين، شارلوت كييتس: «تسعى المنظمات الصهيونية إلى منع وصول الرواية الفلسطينية إلى الرأي العام، خاصة إلى ساحة أكاديمية وتتصرف كبلطجي مع الطلاب، كما تقوم منظمات يمينية متطرفة بإشاعة واختلاق الأكاذيب لتشوية صورة ونضال الشعب الفلسطيني». وتضيف: «هذه وظيفتها... الحركة الصهيونية تريد احتكار الجامعات والنقابات والكنائس، تَعتبرها ميادين وساحات لها فقط، وأمكنة مُحرّمة على الصوت الفلسطيني والقوى المناصرة للحقوق الفلسطينية والعربية». وتابعت كييتس: «من المتوقع أن تهاجم مثل هذه المنظمات الفيلم لتجريم المقاومة الفلسطينية. هذه ليست المرة الأولى التي نشهد فيها حملة عنصرية تستهدف الطلبة العرب و«شبكة صامدون» و«حركة الشباب الفلسطيني» وجمعيّات ناشطة على صعيد مقاطعة إسرائيل». من ناحيتها، رفضت الجهات التي تنظّم عروض الفيلم قرار التأجيل واعتبرته «رضوخاً للضغوط الصهيونية»، معلنةً عزمها عرضه في أماكن مختلفة في المدينة ومتابعة الأمر مع الجهات المعنية في الجامعة باعتبار ذلك «حقاً طبيعياً للطلبة»، متوقعةً من الإدارة «الوصول إلى القرار الصحيح والانحياز للحقوق والحريات الأكاديمية».

رامي خليفة: كورونا لا إسرائيل!

خلال الأيام الماضية، شهد مهرجان Arabofolies الذي ينظّمه «معهد العالم العربي» (فرنسا) لغاية 12 كانون الأول (ديسمبر) الحالي، ويتضمّن عروضاً موسيقية وسينمائية ومعارض تشكيلية لفنّانين عرب وإسرائيليين، انسحابات فنّانين عرب عديدين. مع ذلك، لم يُبدِ رامي خليفة (الصورة) وفرقة «أدونيس» من لبنان أي ردّة فعل، رغم مطالبات «الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل» (PACBI) وناشطين بالامتناع عن المساهمة في منح الشرعية لـ «إسرائيل» وتلميع صورتها عبر المشاركة في هذا الحدث التطبيعي. وأخيراً، ألغى خليفة عرضه المقرّر في 12/10 عازياً السبب إلى انتشار «أوميكرون»! ولغاية كتابة هذه السطور، لم تمنع متحوّرة فيروس «كورونا» الجديدة «أدونيس» عن المشاركة (أمس الجمعة واليوم السبت).

الأخبار
al-akhbar

السبت 4 كانون الأول 2021
العدد 4505 السنة السادسة عشرة
Samedi 4 Decembre 2021 nº 4505 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

قيسوا قاشيهبورسكا...
كتفاحةٍ في راحة يد

ملف

فيسواڤا شيمبورسكا... شاعرة اللغة الملموسة كتفاحةٍ في راحة يد

«متّفقون، في لغتنا المتداولة، على عدم التساؤل حول كل كلمة نستعملها، نقول جميعاً: «حياة عاديّة»، «عالم عاديّ»، «النظام العاديّ للأشياء». لكن في لغة الشّعر، حيث تأخذ كلّ كلمة قدرها بعناية فائقة، ما من شيء عادي أو طبيعي. ولا حتى حجر، ولا حتى غيمة فوقه. ولا حتى نهار، ولا حتى ليل بعده. وفوق كلّ هذا، ولا حتى كينونة كيفما كانت في هذا العالم». هكذا، بكثافة لغويّة لم تغادرها أبداً قدّمت فيسواڤا شيمبورسكا (1923 – 2012) رؤيتها الشعرية، في خطاب استوكهولم، الملقى في 7 كانون الأوّل (ديسمبر) 1966. شيمبورسكا شاعرة بولنديّة، من مواليد 1923 في بلدة صغيرة قرب پوزنان، من جيل المضحيّ بهم، بين دياجير الاجتياح النازي، ثمّ تحت جزمة ستالين. استقرّت في كراكوف سنة 1931. أولى قصائدها المنشورة في جريدة «كراكوڤيّة» سنة 1945 تثير ويلات الحرب العالميّة الثانية على بولندا. ديواناها «ما نحيا من أجله» (1952) و«أسئلة للذات» (1954) ينمان عن وفاء للقيم الشيوعية، بانسجام مع السياسة الثقافية الرسمية للنظام الذي استلم زمام الحكم بعد الحرب. لكن، مع موت ستالين، تخلّص الكتّاب البولنديون من أسر التّوجيه الحزبيّ وحازوا حرّية جزئيّة في الإبداع. مع هاته الموجة، تنكّرت شيمبورسكا لقصائدها الخاضعة لإكراهات الواقعيّة الاشتراكيّة من خلال ديوان «نداء إلى يتيتي» (1957). تبين أشعارها الموالية ـ خصوصاً في «الملح» (1962)، و«ألف سلوى» (1967)، و«قصائد» (1970) و«نارسوس وقصائد أخرى» (1976) — عنْ غنى قاموسها وعوالمها، حيث تتمازج الفلسفة مع التأمّل الدّقيق في تفاصيل الحياة اليوميّة، في أبيات ذات طابع كلاسيكيّ، متخلّصة من التصنّع والزّخرف.

رغم ذيوع صيتها في المشهد الثقافي البولندي، فإنّ اسْمها بقي رائجاً بشكل حميمي بين نخبة ضيّقة في الخارج، إلى ان نالت «جائزة نوبل» عام 1996. نشرت في ما بعد «الناس على الجسر» (1985)، «سهرة أدبيّة» (1992) و«النهاية والبداية» (1993). لا تستند شيمبورسكا، في كتابتها، إلى الكلمات فقط. لا تخرشش على الورق. لا تترك ريشتها إلاّ ظلاً خفيفاً. بعض السواد. بريشتها، تبحث شيمبورسكا عن الأسئلة، تنقّب في أحشاء الدواليب، تحت لحاء الشجر، تحت الوان لوحة فنّية، تبحث عن الأسئلة الكامنة في الأشياء الصغيرة للوجود. في كلّ هاته الأشياء اليوميّة التي تتحرّك دونما سبيل معيّن، دون دليل او معلّم، كلّ تلك الأشياء البسيطة والسخيفة التي تكدّر الحياة او تبهجها، وتبقى هاته الأسئلة دونما جواب، محرّرة منه. الأسئلة التي لا تطرح أبداً لأنّ العيش مع الأجوبة اسهل من العيش مع الأسئلة. عن هاته الأشياء، تحدّثنا شيمبورسكا بحنوّ وتواضع، برقّة وسخريّة. بحيْثُ أشْاء عندما نقْرؤها نحسّ، في لحظة منفلتة من أسْر الزّمان، أنّنا نجباء وأنّنا فهمنا على الأقلّ نتفة صغيرة عن الأبد. فهمنا لمّ الارض كرويّة، اسهمت في تحرير مجلّة «الحياة الادبيّة»، بين 1953 و1981. بالإضافة إلى مهامها التحريرية، كانت تكتب عمود تجيب فيه على بريد القراء غير العاديين. قراء يطمحون إلى ان يكونوا كتّاباً في المستقبل أو صقل مواهبهم ككتّاب شباب في حاضرهم. تمّ تجميع هذه الأعمدة في كتاب، تحت عنوان «كيف تبدأ الكتابة (ومتى تتوقف)». هنا مقتطفات منه ترجمها الشاعر والمترجم المصري احمد شافعي، عن الإنكليزيّة

رشيد وحتي

نصائح للكتّاب المبتدئين: دَمٌ حقيقيّ لا يُغني عنه المِداد *

ترجمة **احمد شافعي**

تقول المترجمة كلير كفاناح في تقديمها لكتاب «كيف تبدأ الكتابة (ومتى تتوقّف)» للشاعرة البولندية فيسواڤا شيمبورسكا إنّ «النصوص الشديدة الخصوصية التي يتألف منها الكتاب مختارة من نصائح كانت تسديها الشاعرة . من دون توقيع باسمها . طوال سنوات في عمود «بريد الأدب» في صحيفة «الحياة الأدبية» البولندية. وحفاظاً على تخفّيها كانت شيمبورسكا تكتب بضمير جماعة المتكلمين، لأن النحو البولندي يكشف بلا رحمة عن جنس المتحدث، وقد كانت شيمبورسكا هي المرأة الوحيدة في فريق تحرير «الحياة الأدبية» التي تردّ على رسائل القراء».

> لم تضع في حسبانك ان إيكاروس هذا الزمن يرى طرقاً سريعة مغطّاة بالسيارات والشاحنات، ومطارات، أفلا يحتمل ان تمرّ جنب اذنه طائرة؟

إلى فولديمر، من كراكوف: بالطبع يمكنك أن تبدأ الكتابة فجأة بعد الأربعين. وليس هذا متاحاً بصفة خاصة، إذا ما أخذنا في الاعتبار قوانين أخرى تحكم مثل هذه البدايات الناضجة. تنجح البداية المبكرة من خلال طزاجة في الخيال، ورؤية للعالم لم تزل حرة من القيود. وفيها تسيطر الانطباعات . لا التأملات. وتحتل الملاحظات العفوية مكان الرؤى العميقة المستخلصة من فهم للعالم عسير المنال. ومن البداية المتأخرة، في المقابل، نتوقع فضائل إضافية: نصيباً معقولاً من الخبرة البشرية في الحالات التي لا تتعلق بسير ذاتية قائمة على المعلومات. وذائقة أدبية صيغت بوعي. باختصار، لا يجب على ابن الأربعين أو ابنتها أن يكتب أو تكتب كابن السابعة عشرة أو ابنتها، فلا الزمن في هذه الحالة سيشفع ولا القدرات الذهنية ستنفع.

■■■

إلى أ. ت. من كراكوف: ينتظم الموسيقيُّ الشاب في الكونسرڤتوار، ويدرس الرسّام الشاب في الأكاديمية، وليس للكاتب الشاب مكان يذهب إليه. وأنت ترى في هذا ظلماً. وليس الأمر كذلك. فالمدارس توفر للموسيقيين والرسامين المعرفة التقنية الأولية المهمة، المعرفة التي ستقع تحت ضغط كبير لاكتسابها بنفسك، وفق نظام قصير نسبياً. ما الذي يمكن أن يتعلّمه كاتب في معهد؟ إن أي مدرسة عادية توفر كل ما يلزم لتحريك قلم على الصفحة. ليس للأدب أسرار تقنية، أو على الأقل، ليست له أسرار يستعصي استخلاصها على الهاوي الموهوب (فما من شهادة لتنفع عديم الموهبة). الأدب هو الأقل مهنية بين جميع المجالات الفنية. قد تبدأ الكتابة في العشرين، أو السبعين. قد تكون أستاذاً جامعياً أو عصاميّ التعلم. قد تتهرب من دراستك الثانوية (شأن توماس مان) أو تحصل على درجات الدكتوراه الفخرية من جامعات عدة (شأن توماس مان أيضاً). فالطريق إلى پرْناسُوس (جبل الملهمات والإلهام) مشرّع للجميع، على الأقل من حيث المبدأ، فالحيثيات هي صاحبة القول الأخير.

■■■

إلى يوج، من إنوركلو: هي الشكوى القديمة نفسها بشأن «الشباب». هذه المرة يفترض أن نغفر لكاتب لأنه لا راح ولا جاء، ولا عرف من الدنيا شيئاً يُذكر، ولا قرأ شيئاً مما ينبغي أن يقرأه. تمّ مثل هذه الاعترافات عن اعتقاد (مراهق، ومن ثم اختزالي) بأن ظروفاً خارجيّة فقط هي التي تصنع الكاتب، وأن إبداعه يأتي من كمّ المغامرات في حياته. والحق أن الكاتب يتكوّن داخلياً، في قلبه وعقله: عبر ميل فطري (نكرّر: فطري) إلى التفكير، وحساسية مرهفة تجاه الأمور البسيطة، ودهشة إزاء ما يراه غيره من طبائع الأمور. رحلات خارجية؟ نرجو صادقين أن تقوم بها، فهي أحياناً تؤدي الغرض. لكن قبل أن تتوجه إلى كابري، نقترح عليك رحلة إلى فولكا الصغرى (في جنوب بولندا)، فإن لم ترجع منها بشيء تكتب عنه، فلا نجاة لك في أي كهف لازوردي.

■■■

إلى تيدي، من تشيلم لوب: طبعاً، تستوجب الموهبة الحقيقية نصائح وتوجيهات، وبخاصة في البداية. لكن هذه الدروس يجب أن تأتي بسلاسة، وبطريقة أقرب ما تكون إلى العفوية. إحساس عميق بما هو أفضل أو أسوأ جمالياً، بالأهم والأقل أهمية، بما يصلح وما لا يصلح ولماذا. الأمر لا يقتصر على القراءة الواسعة والمعرفة بمختلف الاتجاهات الفكرية والجمالية. الأمر في المقام الأول غريزة. ونحن نقول هذا بأريحية بعد سنين طوال من الملاحظة. رُبَّ كلمات قليلة عن استعارة معيبة تقي شاعراً مبتدئاً من تكرار غلطة ما. ورُبَّ حوار يمتد ليوم كامل ولا نفع فيه لغيره. والغريزة نفسها هي التي ستجذب المبتدئ إلى من يفوقونه معرفةً، ويزيدون عليه خبرةً، وحساسيةً، وثقافة. أولئك الناس قد تجدهم أينما بحثتَ عنهم. ولسنا نطلب منك أن تقطع علاقاتك بأصدقائك الحاليين، لكنّنا نقول ببساطة إنهم غير أهل لما ينتظر منهم. ونحن نخلص من رسالتك إلى أن قلبك ربما يكون قد سمع النداء، لكنّ عقلك لم يسمعه بعد.

■■■

إلى إليزابث، من وارسو: «كيف أعلّم نفسي الأدب البولندي، وبخاصة الشعر؟» لو أنك غير حاصلة على شهادة التعليم الثانوي، فعليك على الأقل أن تهتمي بمنهجه في الأدب والتاريخ. تناولي مجلات أدبية، احضري أمسيات. تابعي نقاشات. ابحثي عن أصدقاء واسعي الاطلاع. هذا مسار دراسي ممتع، لكنه لا يعد بنتائج فورية. وكذلك هي الحياة. وجيزة، لكن كل تفصيلة تستغرق وقتاً.

■■■

إلى هليودر، من بشميشو: تقول في رسالتك: «أعرف أن في قصائدي أخطاء كثيرة، لكن ما المشكلة؟ لن أتوقف لتصحيحها». طيب، لماذا يا هليودر؟ ربما لأنك تقدس الشعر أكثر مما ينبغي؟ أم ربما تعتبره أمراً تافهاً؟ كلتا الطريقتين في معاملة الشعر خاطئة، والأدهى أنهما تعفيان الشاعر المبتدئ من ضرورة الانكباب على شعره. من اللطيف دائماً أن نحكي لعارفنا عن روح الشاعر التي استولت علينا يوم الجمعة في تمام الثالثة إلا الربع بعد الظهر وأخذت تهمس بحرارة في آذاننا بأسرار غامضة، فكنا لا نكاد نجد الوقت لتدويننا. ولكن في البيت، وخلف الأبواب الموصدة، تأتي هذه الروح لتصحّح وتحذف وتعدل تلك الأقوال الآتية من عالم آخر. الأرواح لطيفة وأنيقة ولكن حتى الشعر يا هليودر له وجهه الأرضي.

■■■

إلى ه. و.، من پوزنان، الراغب في أن يكون مترجماً: لزام على المترجم ألا يخلص للنصّ وحسب. عليه أيضاً أن يكشف كل جمال الشعر فيما يحافظ على شكله ويحتفظ قدر المستطاع بروح العصر وأسلوبه.

■■■

إلى جراجينا، من ستاراخوفيتسا: هيا بنا ننزع الأجنحة ونحاول الكتابة ونحن واقفون على أقدامنا، ممكن؟

■■■

إلى بيغاسوس (كذا)، من نيبولوميس: تسأل بالشعر المقفى إن كان للحياة معنى (كذا). المعجم الذي بين يديّ يجيب بالنفي.

■■■

إلى السيد ج. كر، من وارسو: أنت تحتاج إلى قلم جديد. القلم الذي معك يغلط كثيراً. هو، أكيد، مستورد.

■■■

إلى السيد ك. ك.، من بييتُم: أنت تتعامل مع الشعر الحر، وكأنه حرّ من كل شيء. ولكن الشعر (مهما يكن وصفنا له) كان، ولم يزل، وسيظل، لعبة. ولأي لعبة . كما يعرف كل طفل، قواعدها. طيب، لماذا ينسى الكبار هذا؟

■■■

إلى بوشكا، من رادُم: حتى الملل لا بد من وصفه بحماس. فكم من أشياء تحدث في يوم لا يحدث فيه شيء.

■■■

إلى بولسلاف ل. ك، ومن وارسو: الأمك الوجودية تَدْفَعُ بسهولة شديدة. لدينا ما يكفينا من الياس والاغماق المقبضة. و«الأفكار العميقة، كما يقول عزيزي توماس (توماس مان طبعاً، ومن غيره؟)، ينبغي أن تحملنا على الابتسام». ونحن نقرأ قصيدتك «المحيط»، نجد أنفسنا نتخبط في بركة ضحلة. عليك أن تنظر في حياتك باعتبارها مغامرة فريدة حدثت لك. هذه هي نصيحتنا الوحيدة في الوقت الراهن.

■■■

إلى مارك، من وارسو أيضاً: عندنا مبدأ هو أن كل قصائد الربيع لا تستحق النشر. هذا الموضوع لم يعد له وجود في الشعر. هو موجود بقوة وحيوية في الحياة، طبعاً. ولكن هذه نقرة وهذه نقرة.

■■■

إلى ب. ل.، من حي فروتسواف: الخوف من الكلام المباشر، والمحاولة المضنية الدائبة لإضفاء بعد استعاري على كل شيء، والاحتياج اللامنتهي إلى إثبات أنك شاعر في كل بيت: هذه هي المخاوف التي تسيطر على كل شاعر كبير مبتدئ. ولكنها قابلة للعلاج، إذا تم التشخيص في الوقت المناسب.

■■■

إلى ز. ك.، من بوزنان: استطعت أن تقحم من الكلمات الجليلة في قصائدك الثلاث القصيرة أكثر مما استطاع أولب الشعراء في أعمار كاملة: الوطن، الحقيقة، الحرية، العدالة. تلك الكلمات ليست رخيصة. تلك الكلمات يجري فيها دم حقيقي، لا يمكن أن يغنينا عنه المداد.

■■■

إلى ميشال، في نوفي تارج: حذّر ريلكه الشعراء الشباب من المواضيع الضخمة الكاسحة، لأنها الأصعب والأكثر تطلباً للنضج الفني. وأشار عليهم بالكتابة عما يرونه حولهم، وعن الطريقة التي يقضون بها أيامهم، وعما ضاع، وعما عُثِرَ عليه. وحثّهم على إدخال الأشياء المحيطة بنا إلى فنّهم، وكذلك صور الأحلام، وما تستدعيه الذاكرة. وكتب يقول: «إذا بدت لك الحياة اليومية فقيرة، فلا تلق اللوم في هذا على الحياة. فأنت على من يقع اللوم. إذ ليس فيك من الشاعر ما يكفي لإدراك ثراء الحياة». قد تبدو لك هذه النصيحة تافهة وثقيلة الظل. وهذا ما جعلنا نستقوي ونحن نسديها لك بواحد من أكثر الشعراء نخبوية في عالم الأدب... انظر كم أثنى على ما يسمى بـ «الأشياء العادية».

■■■

إلى أولا، من سوبوت: «تعريف للشعر في جملة واحدة... طيب». عندنا على الأقل حوالى خمسمائة تعريف، ولكن لا يوجد بينها ما يفحم المرء بدقته وشموله. كل واحد منها يعبّر عن ذائقة عصره. من جانبنا، لا نحاول أن نجرب بدنا، بسبب نزوع فطري إلى الشك. ولكننا نتذكر مقولة جميلة لكارل ساندبرغ: «الشعر: يوميّات يكتبها كائن بحري، يعيش على البر، حالماً بالطيران». ولعلّه يحقق هذا فعلاً في يوم من أيامنا هذا.

■■■

إلى ل. ك. ب. ك.، من سوبسك: نريد من شاعر يقارن نفسه بإيْكَارُوش أكثر بكثير مما تَكَشَّف عنه القصيدة الطويلة المرفقة برسالتك. يا سيد ب. ك.، أنت لم تضع في حسبانك أن إيكاروس هذا الزمن يطير فوق أفق مخالف لأفق الزمن السحيق. فهو يرى طرقاً سريعة مغطاة بالسيارات والشاحنات، ومطارات، ومدارج طيارات، ومدناً ضخمة، وموانئ عصرية فسيحة، وأشياء أخرى من هذا القبيل. أفلا يحتمل أن تمرّ جنب أذنه طائرة؟

■■■

إلى ت. و.، من كراكوف: لا يخصّص وقت في المدرسة، ووا أسفاه، للتحليل الجمالي للأعمال الأدبية. يضغطون الثيمات المركزية في سياقها التاريخي. وهذه بالقطع معرفة أساسية، لكنها لن تكفي أي راغب في أن يكون قارئاً جيداً مستقلاً، ناهيك بشخص له مطامح أدبية. مراسلونا الشبان في الغالب يصدمون لأن قصيدة لهم عن إعادة إعمار وارسو في ما بعد الحرب أو عن مأساة فيتنام قد لا تكون جيدة. فهم على قناعة بأن نبل النوايا مقدم على الشكل. لكنك إذا شئت أن تكون إسكافياً محترماً، فلن يكفيك حماسك للقدّم الإنسانية. عليك أن تعرف جلودك وأدواتك وتنتقي القالب الصحيح وما إلى ذلك... وهو ما يصحّ في الإبداع الفني أيضاً.

■■■

إلى مستر ب. ك.، من لاسكي: قصائدك النثرية متشرّبة بشخصية الشاعر العظيم الذي يبدع أعماله اللافتة. وهو في حالة نشوة كحولية. قد نجازف ونخمن من قد يكون في بالك، ولكن الأسماء ليست شاغلنا هنا في نهاية المطاف. بل القناعة المضلّلة بأن الكحول ييسّر فعل الكتابة، ويكسب الخيال جرأة، والإحساس رهافة، ويؤدي عدداً آخر من الوظائف النافعة في تحريض روح الشاعر. يا عزيزي مستر ك.، لا هذا الشاعر، ولا أي شاعر من المعروفين لنا معرفة شخصية، بل ولا أي شاعر آخر، كتب أي شيء عظيم وهو تحت التأثير الخالص للشراب القوي. كل الأعمال الجيدة خرجت من الجهد، والإفاقة المؤلمة، دونما طنين لطيف في الرأس. «طالما تأتيني أفكار مع الفودكا، ولكن بعدما يصيبني الصداع» هكذا قال فيسبابنسكي. ولو أن الشاعر يشرب، فهو يشرب بين قصيدة وقصيدة. هذه هي الحقيقة العارية. لو كان الكحول يؤدي إلى شعر عظيم، لكان مواطن من كل اثنين في هذا البلد هُوَرَاس على الأقل. وهكذا نحن مرغمون على تفجير خرافة أخرى. ونأمل أنك سوف تخرج سالماً من تحت الأنقاض.

■■■

إلى إ. ل.، من وارسو: ربما عليك أن تتعلم أن تحبّ بالنثر.

■■■

إلى إسكو، من شيراتز: الشباب بالفعل مرحلة مخاتلة في حياة المرء. ولو أضفنا إلى مصاعب الشباب طموحات كتابية، فلا بد أن يتحلى المرء ببنية قوية قوةً استثنائية لكي يحتمل. مكوّنات هذه البنية ينبغي أن تحتوي على: إصرار، اجتهاد، قراءة واسعة، فضول، ملاحظة، فتور تجاه الذات، حساسية تجاه الآخرين، عقل نقدي، حس كوميدي، واعتقاد راسخ بأن العالم يستحق ما يلي: أ. أن يبقى موجوداً، ب. حظّ أفضل مما توافر له حتى الآن. المحاولات التي أرسلتها تشير فقط إلى الرغبة في الكتابة ولا شيء آخر مما سبق وصفه. عملك لا يستهدف غيرك.

■■■

إلى كالي، من لوتش: «لماذا» هي أهم كلمة في لغة هذا الكوكب، وربما في المجرات الأخرى أيضاً.

■■■

إلى بالتسيت، من سكارشسكو كام: القصائد التي بعثتها تشير إلى أنك فشلت في معرفة فارق أساسي بين الشعر والنثر. مثلاً، القصيدة التي عنوانها «هنا» مجرّد وصف نثري عادي لغرفة وما تحتويه من أثاث. في النثر يقوم هذا الوصف بوظيفة محددة: أنه يهيّئُ المشهد لحدث قادم. ففي لحظة، سوف ينفتح الباب، وسوف يدخل شخص، وسوف يحدث شيء. أما في الشعر، فالوصف نفسه هو الذي ينبغي أن «يحدث». كل شيء يصبح ذا دلالة، ومعنى: اختيار الصور، وأماكنها، والشكل الذي تتخذه من خلال الكلمات. ولا بد لوصف غرفة عادية أن يتحول أمام أعيننا إلى اكتشاف لتلك الغرفة، والإحساس الكامن في هذا الوصف لا بد أن يصل إلى القارئ. وإلا فسوف يبقى النثر نثراً، مهما اجتهدت في تقطيع جملتك إلى أبيات منظومة. والأسوأ من كل ذلك، أن لا شيءَ يحدثُ بعد هذا.

* نُشرت هذه المقتطفات في موقعَيْ «ليت هَب» (lithub) و«مؤسسة الشعر الأميركي»

ملف

ڤيسواڤا شيمبورسكا... شاعرة اللغة الملموسة كتفاحةٍ في راحة يد

رسالة لم أبعثها

ترجمة **رشيد وحتي**

1. كله هذا صنيع الحظ

قد يكون حدثٌ. وجب أن يحدث.
حدث مبكراً. متأخراً. قريباً. بعيداً.
حدث وإنّما ليس لك.
تخلّفت، لأنّك الأوّل. تخلّفت، لأنّك الأخير. لأنّك كنت وحدك. لأنّ أناساً كانوا هناك. لأنّ الأمر كان يَسيرةً. لأنّ الأمر كان يَمنةً. لأنّ المطر كان يتساقط. لأنّ الخَلال كانت ترخي بنفسها. لأنّ الجوّ كان مشمساً.
لحسن الحظّ كانت هناك غابة.
لحسن الحظّ لم تكن هناك أشجار.
لحسن الحظّ السكّة الحديد، عطفة، جسر خشبي، مكبح، إطار، منعطف، مليمتر، ثانية. لحسن الحظّ كانت الشَّفرة طافية على الماء.
لأنّ، لكون، رغم أنّ، ولو أنّ. ماذا كان سيحدث لو أنّ اليد، الرّجل، على مسافة خطوة، شعرة من تلاقي الصَدف.
ما زلت هنا؟ خارجاً من لحظة ما زالت مفتوحة؟ لم تكن في الشّبكة عدا عين واحدة وها أنت قد نفذت منها؟ لم أعد قادرة على الاندهاش، على الصّمت. إسمع كم يخفقني قلبك بسرعة.

2. حوار مع الحجر

أطرق باب الحجر.
— أنا ذي، دعني أدخل. أريد الولوج بداخلك، إلقاء نظرة به، تنفّسك حتى الأعماق.
— إليك عنّي، يقول الحجر. أنا محكم الإغلاق بدورتي مفتاح. وحتى لو شُطرنا إلى ألف قطعة سنكون مغلقين أيضاً. وحتى لو سُحقنا غباراً لن ندع أحداً يدخل.
أطرق باب الحجر.
— أنا ذي، دعني أدخل. أتيت حبّاً للاستطلاع. الحياة هي الفرصة الوحيدة لذلك. متمسّكة أنا بالتّجوال في قصرك، قبل زيارة الورقة وقطرة الماء. لا أتوفّر على وقت كثير من أجل كلّ هذا. قد يثبرك أني شخص فانٍ.
أنا من حجر، يقول الحجر. أنا مرغم على حفظ وقاري. إليك عني، فلا وجْنات لديّ.
أطرق باب الحجر.
— أنا ذي، دعني أدخل. قيل لي إنّ فيك غرفاً كبيرة وخالية، ما لا عين رأت، ذات بهاء يتبرعم بلا جدوى، خرساء، حيث لا خطوة تسمع أبداً. إعترف الآن أنّك لا تعرف أكثر من هذا.
— غرف كبيرة وخالية، أي نعم، قال الحجر، لكن لا مكان فيها لأحد. جميلة، لربّما، ولكن مستحيلة المنال عن حواسّك الخمس البئيسة. يمكنك أن تعرفيني، ولكن أن تحسي بي، أبداً. كلّ مظهري ينظر إليك وجهاً لوجه، لكنّ ما بداخلي يدير لك ظهره للأبد.
أطرق باب الحجر.
— أنا ذي، دعني أدخل. أنا لا أبحث فيك عن ملجأ للأبد. لست شقيّة. لست بدون مأوى. العالم الّذي أعيش فيه يستحقّ أن نعود إليه. أعدك أن أدخل وأخرج خالية الوفاض، وكدليل على حضوري الفعلي في قلبك لن أقول إلاّ كلمات لن يزكّيها أحد.
— لن تدخلي، قال الحجر. ينقصك حسّ تقاسم الأشياء. لا حسّ يعوّض حسّ تقاسم الأشياء، حتى النّظر الثاقب حدّ الانبهار لن يكون لك عوناً بتاتاً دون تقاسم الأشياء. لن تدخلي، ليس لديك إلا هذا الحسّ، إلا بُدرته، صورته.
أطرق باب الحجر.
— أنا ذي، دعني أدخل. ليس بمقدوري الانتظار الفي قرن للولوج تحت سقفك.
— إذا لم تصدّقيني، قال الحجر، اذهبي للإقاة الورقة، ستقول لك نفس الشّيء، أو قطرة الماء الّتي ستؤكّد ذلك. يمكنك حتى أن تكلّمي شعرة من رأسك. أحسّ بأنّ قهقهةً هائلة تتصاعد فيّ، قهقهة فسيحة لا أدري كيف سأضحكها.
أطرق باب الحجر.
— أنا ذي، دعني أدخل.
— لا باب لي، قال الحجر.

3. الساعة الرابعة صباحاً

ساعة من اللّيل للنّهار. ساعة من الخاصرة اليمنى لليسرى. ساعة لما قبل الثّلاثين حولاً.
ساعة كنست تحت غناء الدّيكة.
ساعة يبدو فيها أنّ الأرض تطردنا.
ساعة حيث تجمّدنا نفس النّجوم الخائبة. ساعة التّساؤل عما سيفضل منّا.
ساعة فارغة، خرساء، قاحلة. عمق أعماق كلّ الساعات الأخرى.
لا أحد بحقّ في الساعة الرابعة صباحاً. إذا كان النّمل بحقّ في الرابعة صباحاً، فتحيّتي للنّمل.
ولكن فلتات الساعة الخامسة بسرعة، فهكذا لنا أن نبقى على قيد الحياة.

4. محطّة

عدم وصولي إلى محطّة سين كان في الوقت المحدد. أعلمتك برسالة لم أبعثها. لم تأت في الموعد بالضّبط كما كان منتظراً. وصل القطار إلى الرّصيف 3. نزل أناس كثيرون. تبع غياب شخصي الحشد حتى الخروج. عوّضتني بعض النساء بسرعة في هاته المشية السريعة. استقبلت إحداهنّ من طرف شخص كنت أجهله، لكنّها تميّزته فوراً. تبادلا سريعاً قبلة لم تكن لنا، إثرها تمّ تضييع حقيبة لم تكن لي. توقّفت محطّة سين في امتحان الوجود الموضوعيّ.
كلّ شيء مثبّت في مكانه. التفاصيل تتحرّك بنظام على خطوط حديديّة غُيّنت سلفاً. بل حتى الموعد كان قد تحقّق من دون أن يستطيع حضورنا الوصول إليه.
في فردوس الاحتمال المفقود. خارجاً. خارجاً. أيّ موسيقى في هذه الكلمة.

5. بصلة

لا شبيه للبصل. لا أمعاء له. ليس البصل إلا نفسه بصلياً بطبيعة الحال. متبصّل خارجاً، مباصل حتى القلب. يمكن لبصلتنا أن ترى، دون خوف.
نحن: أولاء الأغراب والمتوحّشون الكاسون بالكاد جلداً، ذاك الجحيم المغلق، ذاك التّشريح الحارق، أما البصلة فليست سوى بصلة، دون أحشاء ملتوية. عري متجمهر، بهيئة إلى آخره. قدر جليل وتحفة مكتملة الصنعة. واحد يقود دوماً نحو الآخر من الكبير للأصغر، هذا للأقرب منه، ثمّ للموالي. إنّها فرار متقاطب المركز. الصّدى المثنيّ في شكل جوقة.
البصلة، إنّها تستحقّ الهتافات والتّصفيق: أبهى بطن على الأرض وهو يشتمل بهالات متعاظمة. أما فينا نحن: أعصاب، دهون وعروق، مخاط وإفرازات. حرمنا من الكمال البليد.

6. مثال

اقتلعت العاصفة، اللّيلة، كلّ الأوراق من شجرتي، إلاّ واحدة، يتيمة، لتهزهز، في كامل عريها، على فنن.
تعلن القوّة الجلفاء، من خلال هذا المثال، أنّها — لم لا — أحياناً، تمنح نفسها حقّ السّخريّة بضربة رعناء.

المصدر:

Wislawa Szymborska: De la mort sans exagérer, Poèmes 1957-2009, Trad. du polonais et préfacé par Piotr Kaminski, Collection Poésie/ Gallimard, Gallimard, 2018.

مختارات شعريّة *

1- هزليّات

إذا كان ثمّة ملائكة،
فهم ربّما لا يقرأون
قصصنا
حول الآمال المُجهضة.

أخاف – للأسف –
أنهم كذلك لا يقرأون أشعار
وامتعاضها من العالم.

صيحاتُ وارتعاشاتُ
مسرحيّاتنا

لا بدّ وأن – حسبما أظن –
تُثيرهم.

هم في الاستراحات من المشاغل
الملائكيّة يَعني غير البشريّة
يتمعنون
في هزليات
من زمانِ الفيلم الصامت.

هم أكثرُ من النّدابين
ممزّقي الثياب
والصارّين على أسنانهم
يُتمْتمون – حسبما أعتقد –
ذلك المَخلوق،
الذي يمسك بباروكةِ الغريق
أو الذي يأكل من الجوع
شريط حذائه.
من الحزام فما فوق ثمّة صدرٌ
وتطلّعات
وما دونها فارة مذعورة
في سروال.
أوه، نعم،
لا بدّ لهذا من تسليتهم تماماً.

هذا الركضُ في حلقةٍ مفرغة
يتحوّل إلى هروب من الهاربِ.
الضوءُ في النفق
يبدو بعينِ نمر.
مائة كارثة
هي مائة شقلبةٍ مضحكة
فوق مائةِ هاوية.

إذا كان ثمّة ملائكة،
- يحدوني الأمل – فعليه
أن يُقنعهم
هذا المرح الهزّاز فوق الهاوية،
المرحُ الذي لا يستغيث،
لأن كل شيء يحدث بهدوء.

أتجرّأ على القول
بأنّهم يَصفقون الإجنحة
ومن عيونهم تسيلُ على الأقل
دموعُ الضحك.

2- رواية الأحداث

لو سُمح لنا بأن نختار،
لفكّرنا ربّما طويلاً.

لكانت الأجسامُ المقترحة غير
مريحة،
ولتحطّمت ببشاعة.

أقرفتنا
سبلُ تطمين الجوع،
نفرتنا
وراثة الصفات الهامدة
وطغيانُ الغدد.

العالم الذي كان عليه أن يطوّقنا،
كان في تداعٍ مستمرّ
واحتدمت عليه نتائجُ الأسباب.
أن نتناساه
حيث تجمّدنا نفس النّجوم
الخائبة. ساعة التّساؤل عما
سيفضل منّا.
ساعة فارغة، خرساء، قاحلة. عمق
أعماق كلّ الساعات الأخرى.
لا أحد بحقّ في الساعة الرابعة
صباحاً. إذا كان النّمل بحقّ في
الرابعة صباحاً، فتحيّتي للنّمل.
ولكن فلتات الساعة الخامسة
بسرعة، فهكذا لنا أن نبقى على قيد
الحياة.

3- ابتكرْ العالمَ

أبتكرُ العالمَ الطبيعة الثانية،
الطبيعةُ الثانيةُ، مُنقّحة،
للبلهاء الضحكُ،
للكئيبينَ البكاءُ،
للصلعاءِ المشطُ،
للكلابِ الحذاءُ.

هوذا فصلٌ:
لغة الحيوان والنبات،
حيث لكلّ صنف
عندك قاموس مناسب
حتى عبارةُ صباح الخير
البسيطة
المتبادلةُ مع السمكة
تُعزّزكم في الحياة
أنتِ، السمكة والجميع.

ارتجالُ الغابة!
هذا، المحسوسُ قديماً،
فجاةً في يقظة الكلمات
هذه ملحمةُ اليوم!
هذه خواطر القنفذ،
تؤلّفُ حينما
نكون واثقين،
بأنّه لا شيءَ سوى نومه!

الوقتُ (الفصل الثاني)
له الحقّ بالتدخّل،
في كلّ شيء، سيّئاً كان أو خيّراً،
لكن – هذا الذي يُفتّتُ الجبال،
الحاضرُ عند دورةِ النجوم،
لن تكونَ له أيةُ سلطة
على عاشقين، لأنهما عاريان
تماماً،
لأنهما متعانقان تماماً، بروح
وجلةٍ مثل عصفور على الكتفّ.

الشيخوخةُ مجرّدُ مَنقبةٍ
أخلاقيّة
مُقارنةً بحياة المجرم.
أوه، إذن فالكلّ هم شباب!
المعاناةُ (الفصل الثالث)
هي لا تهينُ الجسدَ.
من المصائر الفرديّة
المعروضة علينا للنظر
رفضنا الأكثريةَ
بحزن وارتعاب.

برزت مثلاً أسئلة كهذه
هل من فائدة لأن تلدي في الآلام
طفلاً ميتاً
وما جدوى أن تكون ملاحاً
لا يبحر.

رضينا بالموت
لكن ليس في كلّ هيئة.
سخرنا الحبُّ،
حسناً، لكن الحبّ
الوفي بوعوده.

عن خدمة الفن
حرفنا
سواء تذبذب التقييم
أو مؤقتيةُ الأعمال.

كلّ واحد منا أراد وطناً بلا
جيران
وأن يعيشَ حياته كاملة
في الفسحة ما بين حربين.

لا أحد منا أراد أن يستلمَ السلطة
أو لها يخضع،
لا أحد أراد أن يصير ضحيّة
أوهامه الشخصيّة وأوهام
غيره،
لم يكن هناك متطوّعون
للحشود والمسيرات
وقبل كلّ شيء للقبائل الفانية
- ولو بدونها التواريخ
لم تستطع بأيّة طريقة أن تجري
عبر قرون متوقّعة.

في غضون ذلك كميّة كبيرة
من النجوم الوضيئة
قد انطفأتْ وخَبتْ.
كانت لحظة قصوى للقرار.

رغم التحذيرات الكثيرة
ظهر في النهاية مرشّحون
لبعض الأدوار مثل المستكشفين
والمطبّعين،
لبضعة فلاسفة مغمورين،
لبضعة بستانيين مجهولين،
لمشعوذين وموسيقيين
مع ذلك بسبب نقص الطلبات
حتى هذه الحيواتُ
ما كان بوسعها أن تتحقّق.

كان لا بدّ أن يُنظر في كامل
القضيّة.

قُدّم لنا عرض
لرحلة
سنعود منها مع ذلك
سريعاً وأكيداً.

الإقامة ما وراء الخلود،
مع ذلك رتيبة
ولا تعرف الزوال
يمكنها أبداً أن لا تتكرّر أكثر.

أغارت علينا الشكوك،
هل ونحن نعرف كلّ شيء مسبقاً
نعرف حقّاً كلّ شيء.

هل الخيار المبكر
هو خيار ما
ألا يكونَ من الأفضل
أن نتناساه
وإن اخترنا
- فلنختزلْ هناك.

تطلّعنا إلى الأرض
كان ثمّة مغامرون يعيشون
عليها.
ثمّة نبتة هزيلة
تشبّثت بصخرة
بثقة عمياء
بأنّ الريح لن تقلعها.

ثمّة حيوان صغير
أفلتَ من جُحره
بأمل وجهٍ غريبين علينا.

كنّا نبدو أشدّ حذراً،
وضيعين ومضحكين.

بعد قليل أخذنا نتناقص
الأقل صبراً غابوا عنّا في مكانٍ
ما.
ذهبوا إلى خطّ النار
- نعم، كان ذلك واضحاً،
أشعلوها حقّاً
عند ضفّة النهر المنحدرة.

بضعة منهم
قد تحرّكوا عائدين.
لكن ليس باتجاهنا.
كما لو أن شيئاً مستعداً؟ كانوا
يحملون؟

4- المتحف

توجد صحونٌ دوننا شهيّة.
توجد خواتم دوننا مبادلة
منذ ثلاثمائة عام على الأقلّ.

توجد مروحة – أين التوردُ؟
توجد سيوف – أين الغضبُ؟
والعودُ لا يرنّ في الساعة المكفهرّة.

بسبب نقص الخلود جُمعتْ
عشرةُ آلاف حاجةٍ قديمة.
الناظرُ المطحلبُ يَغفو هانئاً
مُعلّقاً فوق الخزانةِ شاربيه.

المعادنُ، الطينُ وريشةُ الطائر
منتصرة تبتهج بصمت في
الزمان.
وحده الدبّوسُ يُقهقه بعد
بهلولةِ مصر.

التاجِ عمّر بعد الرأس.
الكفّ خسرت مع القفّاز.
والحذاءُ الأيمنُ انتصر على
الرّجل.
أما في ما يتعلّق بي فثقوا، إنّي
أعيشُ
سباقي مع التنورةِ ما زال
يجيشُ
كم من العناد لديها!
كما لو أنها تريد أن تحيا!

5- إلى القلب في يوم الأحد

شكراً لك يا قلبي،
لأنك لا تبرمُ، لأنّك تسعى
دونَ اطراءٍ أو جائزة،
بدافع الاجتهاد الفطري.

سبعونَ خدمةً في الدقيقةِ لك
كلّ تقلّص لديك
هو بمثابة دفع قارب
في عباب البحر
في رحلةٍ حول العالم.

شكراً لكَ يا قلبي
لأنّك مرة بعد أخرى
تستلّني من الكلّ
حتى في الحلم وحدي.

تسهر كي لا أحلمَ حتى النهاية
حتى النهاية،
حيث لا ضرورة عندها
للأجنحة.

شكراً لكَ يا قلبي،
لأنني استيقظتُ من جديد
ولو أنّ اليومَ هو الأحد،
يومُ الراحة،
وتحت الضلوع
تتواصل الحركةُ المعتادة لما قبل
العيد.

6- امتنان

أنا ممتنّة كثيراً
لمن لا أحبّهم.

أشعرُ بارتياح،
لأنهم قريبون من شخص آخر.

بفرح لأنني لستُ
ذئبَ حملاتهم.
الموتُ،
حينما تنام، يجيء.

وستحلم،
بأنه لا ضرورة لكي تتنفس،
وأن الصمتَ بلا تنفّس
موسيقى مقبولة،
وأنكَ صغير كشرارة
وتنطفئ في المدرج الموسيقي.

الموتُ فقط هكذا، كنتَ تتالم
كثيراً وأنت تُمسك الوردةَ باليد
وكنتَ تُحسّ بذعرٍ أكبر
وأنت ترى أن البتّلة قد سقطت
على الأرض.

العالمُ هكذا فقط. أن تعيشَ هكذا
فقط. وتموت فقط بهذا القدر.
وكلّ ما عداه – هو مثل (باخ)
يُعزف لحظةً
على منشار.

* مقتطفات من «النهاية والبداية (وقصائد أخرى)» (دار المدى - 1998) لڤيسواڤا شيمبورسكا (ترجمها عن البولنديّة هاتف الجنابي)

دافيد لاشابيل — «فقد (لم يُوجد)» (طباعة صيغة ورشيفية على ورق كانسون — 2019)

تاريخ

حروب الصّهيونية... فتّش عن «سفر يشوع»!

مرّة أخرى، حلّ الشهر «الفلسطيني» (أي تشرين الثاني/ نوفمبر) لأنّ التاسع والعشرين منه هو «يوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني». أمر يسوّغ، في ظنّي، تخصيص هذه النسخة من «كلمات» لعرض مؤلّفات عن القضية الفلسطينية أو ذات صلة بها. لعلّها أيضاً مناسبة أخرى لتذكير القرّاء بحقيقة أنّ المكتبة العربية لا تحوي أي مؤلّف عن «قضية العرب المركزية» صدر عن أي مؤسّسة ثقافية عربية في السنوات السبعين الماضية. فلسطين قضيّة شعوبنا العربية، نعم، وقضية أحرار العالم أولاً، نعم. لذلك نعثر على عشرات المؤلّفات ومئات المقالات والأبحاث الإبداعية الصادرة عنها، وبعضها بأقلام كتّاب «إسرائيليّين» أضحوا واعين للمأزق الصهيوني، ويحاولون البحث عن مخارج تنقذ بنية الكيان الصهيوني المصطنع... هذا في الوقت الذي تتبارى فيه مشيخات عصور ما قبل التاريخ في الغدر بفلسطين شعباً وقضية. نحن ندرك أنّها، بلا استثناء، ما زالت مستعمرات خاضعة للسيد الأنغلوأميركي، ضمن ما يُعرف علمياً بالاستعمار الخفي/ اللارسمي (informal empire ـ انظر مقالنا «خفايا صناعة اتحاد الإمارات العربية» (1 و2) في عددَي «الأخبار» الصادرين بتاريخ 19 و20 آب/ أغسطس 2020). ونعلم أيضاً أن تقرّب تلك المشيخات من العدو الصهيوني الاستعماري الاستيطاني يتم ضمن إطار الصراع القائل بينها على من يكون عميل (قل: كلب) لندن/ واشنطن المفضّل في المنطقة.

لقد أثبتت مختلف الدراسات الجدّية في الصهيونية أنّ جوهرها لاهوتي غيبي يرتكز إلى تأويل أساطير وخرافات واردة في السفر العبري، لا أول لها ولا آخر.

كتاب «جبل يشوع بن النون: الاحتلال الإسرائيلي و«السفر العبري»» (منشورات جامعة برينستون ـ 2020) للكاتبة الأميركية ريتشيل هافرلوك الأستاذة المساعدة لمادة اللغة الإنكليزية في «جامعة ايلينوا» في شيكاغو، يضع النقاط على الحروف على النحو الآتي: ثمة مجموعة مترابطة من المصطلحات اتخذها «الآباء المؤسّسون» من السفر العبري وأطلقوها على مؤسّسات كيانهم، ونحن نتحدّث هنا عن «سفر يشوع» الذي يأخذه كلّ من قرأه، ناهيك بمَن درسه، على أنّه تحريض على الاستيلاء على أراضي الغير والإبادة الجماعية. على سبيل المثال، المفردة «كيبوش» (kibbush) المستعملة حديثاً للإشارة إلى احتلال فلسطين، هي المصطلح التوراتي المستخدم لغزوات يشوع (يشوع 1:18). ذلك أن العصابات الصهيونية التي قادت اغتصاب فلسطين (طبعاً بمساعدة النظمة سايكس بيكو العربية – ز م) اشتقّته من حروب يشوع المنهجيّة على الشعوب الكنعانية. أما كلمة الاستيطان في «سفر يشوع» (nahalah/نحله)، فهي بالمثل جذر كلمة «الصفة الغربية». من خلال استخدام المفردة، يقدّم المستوطنون «مدنهم المحصّنة» على أنها صور رمزية لقطع الأرض المقدّسة المقسّمة بين القبائل (يش 35:19). وهكذا، فإن النزعة العسكرية «الإسرائيلية» الحديثة لها صدى في «سفر يشوع»؛ (قام الصليبيون والحجاج الأميركيون والصهاينة الأوائل، من بين آخرين، بتأطير مشاريعهم على أنها مهام لأجل أرض الميعاد حيث قرأوا «سفر يشوع» على أنه يشرح أزمنتهم ويبرر حروبهم العدوانية تماماً كما فعل المستوطنون الأوروبيّون في الأميركيتَين وجنوبي أفريقيا وأستراليا، وكما فعل الصليبيّون في فلسطين وبلاد الشام).

إن التكافؤ غير المنفصل للغزو/ الاحتلال (كيبوش) والتخصيصات القبلية والاستيطان العسكري (نحله)، بالاقتران مع الكلمة نفسها للحدود (جبول)، تشهد على أن مفردات «سفر يشوع» أثّرت قاموس العصبية اليهودية-الصهيونية. وقد خدم الكتاب العبري المقدس (التاناخ) مصدراً لغوياً وأنموذجاً أدبياً للمستوطنين اليهود والصهاينة في فلسطين.

كما تحوّل اسم العسكر المشاة «حلوصيم» (halutzim) في (يش 4:13) إلى مصطلح يُطلق على الروّاد الصهاينة في فلسطين وصار «التاناخ» قطعة أثرية وأساطير ووسيط بينهم وبين وطن (هم) الغريب.

إن أفضل ما يشهد على هذا الخلط، بل أكثر، المؤتمر الذي دعا إليه دافيد بن غوريون في عام 1958، وضم سياسيين وقضاة ورجال قانون وجنرالات وعلماء آثار وأهل اختصاص لاهوتيّين، ما يمسح المسافة بين التفسير السياسي والأكاديمي. كان بن غوريون يأمل في تعزيز الوحدة المجتمعية للمهاجرين والمهجّرين الجدد، وتعزيز هوية جماعية تستند إلى نماذج توراتية، ورأى أنّ رواية الحرب التوراتية تشكّل أساساً مثالياً لأسطورة موحّدة للهوية الجديدة، ما من شأنه تعزيز العزم الإسرائيلي-الإسرائيلي على خوض المعارك والتنمية وحل الانتماءات الشتاتية وغير الوطنية؛ أي أن العقيدة المركزية للمشروع هي أن الصهيونية مكّنت من قراءة تاريخية صحيحة للسفر العبري المقدّس.

ننتقل الآن إلى عرض مختصر للمؤلّف دوماً بكلمات الكاتبة وهي باحثة في الكتاب المقدّس، على دراية جيدة بمجموعة متنوعة من النظريات حول تأليفات «سفر يشوع» وتواريخها وتاريخه والنصوص المحيطة به.

يقوّم الفصل الأول، (السطو على الأرض واللغة) الغزو كما هو موصوف في النصف الأول من «سفر يشوع». يظهر كيف أن قصة الحرب هي جماعة إسرءيل. يحاول «سفر يشوع» أن يوازن بين رواية «وطنية» موحّدة تجنّد مجموعات متباينة في مشروع مركزي، والاعتراف بالاستقلال النسبي وشرعية المجموعات التأسيسية. وعندما تتشكل الأمة من خلال صورة الجيش، تكتسب الجماعات المعارضة للمركزية صفة «أجنبية»، وتصبح المؤسسات القبلية التي تديرها النساء موضع شك. يتبع هذا الفصل الغزو ويحلّل ديناميّات تمثيله، ويقوّم كيف أن حساب الحرب الشاملة يمثل أنموذجاً لاتحاد الجماعات المحليّة المتميزة.

يتناول الفصل الثاني (الكثير الكثير متبقٍّ للسطو عليه، واستمرار المحلّي) في طبيعة اتحاد بني إسرءيل من خلال قراءة متانية للتقاليد الجغرافية وقوائم التخوم في النصف الثاني من «سفر يشوع». تقول الكاتبة: أنا أزعم أن هذا السجل الخاصّ بـ «الأرض المتبقية» يشهد على المشهد الاجتماعي اللامركزي والمتنوع عرقياً وسياسياً الذي يسعى سرد الغزو إلى حجبه. يظهر أن قبائل بني إسرءيل تعيش جنباً إلى جنب مع مجموعة أخرى، حتى والقدس مقسّمة «حتى اليوم» (يش 15: 63)، ولا يوجد جيش وطني يصدّ المعارض المحليّين، والنظام القبلي للمفاوضات والزيجات يحافظ على التوازن الاجتماعي المرتكز إلى الأسرة والذي تحافظ عليه المراة.

الفصل الثالث (مجموعة دراسة إسفر) يدعو يشوع في بيت دافيد بن غوريون) يدعو القارئ إلى منزل رئيس الوزراء ديفيد بن غوريون عام 1958 عندما تفكّر بعض «كبار العقول في إسرائيل» معاً في «سفر يشوع». أثناء تحليله لتفسيرات المجموعة ومناقشاتها، يسلّط الفصل الضوء على الدرجة التي انعكس بها المشاركون في حرب عام 1948 من خلال مقاطع في يشوع. وقد بيّنوا الارتباط الواضح بالفعل باسم عملية بن نون عام 1948 وهي معركة اللطرون لفتح الطريق إلى القدس المحاصرة.

يُظهر الفصل الرابع والأخير (قبائل أرض يشوع) إرث يشوع بعد عام 1958 وتفصيله في مجموعة دراسة بن غوريون في «إسرائيل». وصف عالم الاجتماع باروخ كيمرلنغ «المجتمع الإسرائيلي» بأنه يتميز بحكومة مركزية قوية وثقافة وطنية موحدة حتى عام 1967. في ذلك الوقت أدت ردود الفعل المتباينة للاحتفاظ بالأراضي المحتلة إلى تقسيم الثقافة إلى معسكرات متميزة، وغالباً ما تكون معارضة. يعتبر سطو موشيه ديان على يشوع لوصف احتلال الضفة الغربية على أنه تحقيق للكتاب العبري المقدس والصهيونية السياسية على السواء، وكيف استجاب التربويّون والمستوطنون واليساريّون والمحافظون الجدد لهذه الصياغة. بعد ديان، أصبح يشوع ذا أهمية متزايدة للمستوطنين الدينيين، مستشهدين بالمنحة التوراتية للأرض كمبرّاق لهم. هكذا، أعلنوا، مثل الصهاينة الأوائل، أن الكتاب العبري المقدس هو تفويضهم، لكنهم على عكس أسلافهم العلمانيّين (أي غير المتدينين – ز م)، يفضلون الحماس الصالح على تحقيق الأهداف العملية. في منظورهم، يقدم يشوع سابقة للاستيطان العسكري والتهجير المستمر للفلسطينيّين. تحكم عقيدة يشوع توسيع المشروع الاستيطاني، الذي يعتمد غالباً على الجيش الإسرائيلي لفرض مطالبه.

مهما كانت الوحدة الحقيقية أو المتصورة التي يمكن أن تفرضها رواية يشوع على السكان اليهود في الدولة المبكرة، فإنها لا تستطيع أن تنجو من الحرب والاحتلالات المستمرة، التي كشفت أو خلقت انقسامات بين مختلف فئات الدولة نفسها: مسيحانيو التلال والمستوطنون البرجوازيون العلمانيون، الفلسطينيون داخل «الخط الأخضر» وخارجه على السواء، الجنود والرافضون والمعارضون والمؤيدون لجدار الضفة الغربية (وبالطبع يهود الشتات، الذين يبدو أن صهيونيتهم الليبرالية تؤيد احتلال عام 1948 «الأصلي» للأرض ونزع ملكية الفلسطينيين ولكنهم لم يفعلوا ذلك). ترى الكاتبة أنه في ضوء هذه الانقسامات، «أصبح المجتمع «الإسرائيلي» يعتمد على الحرب المتكررة ومجمع جدار ضخم يهدف إلى إلزام «المجتمعات الإسرائيلية» بقدر ما يستبعد الفلسطينيين غير المواطنين».

تنهي الكاتبة مؤلّفها بمناشدة «إنهاء هذه الحرب» وتقلّص كادرها من المستفيدين من الأوليغارشية. تظهر حجّتها المعيارية الأكثر وضوحاً واستمرارية فقط في الاستنتاج الموسع (بعنوان «إنهاء هذه الحرب») حيث قدمت مجموعة غير متوقعة (لهذا القارئ) من الاعتبارات: الأسئلة الجيوسياسية حول حقوق المياه والوصول إليها، وتكنولوجيا تحلية المياه، وخصخصة مستجمعات المياه، والانهيار الكارثي للمياه الجوفية الفاسدة، المصدر الرئيس لمياه الشرب في غزة حيث يظهر النصف الثاني من السفر مزيجاً من الشعوب والقبائل والمطالبات والأسر الموجودة في مناطق مشتركة.

من خلال توفير قراءة بديلة ليشوع، وجد «جيل يشوع» دليلاً على وجود مجتمع لامركزي يتألف من القبائل والعشائر والأسر التي تديرها النساء، وهو مجتمع له صلة بالبوم عندما تتشارك شعوب متنوعة في الموارد المتضائلة لأرض فلسطين المنكوبة.

ملاحظة أخيرة أوردتها الكاتبة: بقدر ما تخلق قصص الحرب الأمة إلى الوجود، فإنها تنتهي أيضاً بالحفاظ على الحقائق الاجتماعية ذاتها التي تنوي إنكارها. يحدث هذا بطرق مختلفة. بادئ ذي بدء، فإن تمثيل الخصوم الدائمين يسجل وجود جيران يقاومون بطريقة ما التشكيل الوطني. يشير إقرار هؤلاء الجيران إلى الطبيعة الهشة وغير الكاملة للتوقعات الوطنية. ثانياً، يُظهر الإصرار على أن الجيش هو الأمة، وأنّ المجتمع المدني لا يمكنه وحده أن يدعم صورة جماعة موحدة. تلعب المعارضات الصارخة للصراع دوراً حيوياً في تخفيف حدة الوحدة الوطنية. أخيراً، تكشف الطبيعة الحماسية والتكرار الطقسي للسرد العسكري عن انعدام الأمن لدى الرواة الذين يواجهون أوضاعاً اجتماعية لا تتناسب مع الكيان السياسي الذي تم تصويره في قصصهم. لا تقتصر قصص الحرب على حشد القوات والمواطنين بروايات مؤثرة عن البطولة والتضحية فحسب، بل إنها تفرض أيضاً إطاراً قومياً على مجتمع غير متجانس. في الوقت نفسه الذي تحشد فيه حكايات المعركة ضد الهياكل الاجتماعية القائمة، فإنها تسجل عن غير قصد إخفاقات القومية/ العصبية. تتجلى الإخفاقات ليس فقط في النغمات الصارخة وتلميحات الإبادة الجماعية، ولكن أيضاً في القبول بأشكال محلية ثابتة للحكم.

إن خطاب الحرب يلعب دوراً مهيمناً في التشكيل الوطني. الأهم من ذلك، في هذا التشكيل، يمثل الجيش كياناً متماسكاً غير واضح في الحياة المدنية. لأن المجتمع - الذي هو دائماً غير متجانس بطبيعته - لا يدعم الادعاءات القومية، يصبح الجيش رمزاً رئيساً للأمة. جزء لا يتجزأ من هذا التكوين الوطني - والتشكيل العسكري بشكل عام - ينطوي على إنكار الحقائق الاجتماعية التي لا تدعم التماسك الوطني أو الوحدة العرقية اللغوية. مثلما تسعى التوغلات العسكرية للتغلب على المعارضة، فإن خطاب الحرب يشن معركة على مشهد اجتماعي لا يتوافق مع رغباته. ولأن الواقع الاجتماعي لا يزال بعيداً عن المفاهيم القومية، تصبح قصص الحرب المكان الأساس الذي توجد فيه الأمة بالفعل. مع تحمل عبء الحفاظ على وجود الأمة، تصبح قصص الحرب طقوساً علنية يتم تكرارها بشغف في لحظات وأماكن تبدأ فيها الروابط الوطنية في التلاشي. بالنسبة للعديد من الدول، إضافة إلى المجموعات المحرومة، تعمل قصة الحرب التأسيسية على فرض الجماعية وإثارة نوع المشاعر التي يمكن أن تدفع السكان إلى الانقلاب بنتائج عكسية ضد أولئك الذين يتشاركون المساحة نفسها.

* The Joshua Generation: Israeli Occupation and the Bible. Princeton University Press (2020). extent: i-xv, 264 pages with 10 illustrations. rachel havrelock

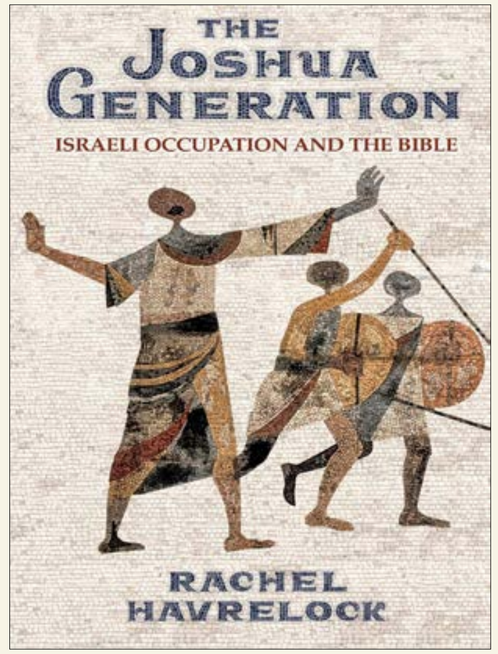

«كيبوش» المستعملة للإشارة إلى احتلال فلسطين، هي المصطلح التوراتي المستخدم لغزوات يشوع

الصهيونيّة المسيحيّة... هكذا أسهمت في احتلال فلسطين

كان العديد من المؤرّخين الأوائل للصهيونية عمياناً عن تاريخها أو رافضين لأيّ دور تأسيسي في التاريخ الصهيوني. ومن المفارقات، أن التاريخ الصهيوني الراسخ قد هيمن عليه المؤرّخون الذين انزعجوا من الاقتراح القائل إن الدين، يهودياً أو مسيحياً، كان حاسماً على أي نحو في تأسيس كيان العدو الصهيوني الاستعماري الاستيطاني. لقد تغيّرت النظرة الخاطئة تلك، ذلك أن نتنياهو صرّح مراراً وتكراراً بأن الدعم المسيحي الصهيوني كان حاسماً في تأسيس الكيان في عام 1948. لكنّ وجهة نظر نتنياهو كانت بمثابة هرطقة لمؤرّخي الصهيونية الأوائل، وكتاب «تاريخ مختصر للصهيونية المسيحية» (i.v.p academic ـ 2020) لدونالد أم. لويس، يأمل في شرح دور هذه الحركة ودوافعها وتأثيرها.

قد يرى بعضهم في كون الصهاينة المعاصرين الأوائل مسيحيين مفارقة. لكنّ هذا مفهوم بالنظر إلى أن التقليد التلمودي عارض منذ فترة طويلة أي نزعة صهيونية. بعد عام 70، فسّر التلمود البابلي (Ketubbot 111A) أول نسختين من نبوّات بنات أورشليم الثلاث (نشيد الإنشاد 2: 7 ؛ 3: 5 ؛ 5: 8) على النحو التالي: تنطوي على مهمتين تم تكليفهما للشعب اليهودي. الأولى منع «اليهود» من «العودة» إلى فلسطين «كجدار». الثانية نهت عن التمرد على الأمم التي تفرّقوا فيها. فالتقليد الحاخامي الطويل الأمد ركّز على الأمل المسياحاني وتوقّع «عودة يهودية» في نهاية المطاف إلى صهيون على يد المسيح وحده. لقد عارض الحاخامات التكهّنات المروّعة، فمنعوا «اليهود» من «الدفع بها» أو حتى حسابها. إله التوراة يهوه فقط سيختار المسيح في وقته، وأي نشاط بين البشر للتدخل في هذه العملية، كان بدعة يجب إدانتها ومعاقبتها. كانت الأقلية الطليعية من الحاخامات الذين اجتمعوا في عام 1845 في فرانكفورت أم ماين على أمل تكييف الطقوس والمعتقدات اليهودية مع العصر الحديث، على استعداد للتخلي عن الآمال التقليدية للمسيح الشخصي؛ بالنسبة إليهم «على اليهود أن يفدوا العالم بدلاً من انتظار أن يفديهم المسيح. فهم لم يعتقدوا أن الخلاص يمكن تحقيقه باللجوء إلى غيتو يهودي في فلسطين، بل يجب أن يسعى اليهود إلى التشتّت «في كل أرض في العالم حتى تعترف كل أمة بإله واحد بمفردها، وفقاً للتقاليد اليهودية النقية». كما لاحظ كريستوفر سايكس في منتصف القرن التاسع عشر «في ألمانيا ظلّ تأثير موسى مندلسون (assimilation) وأتباعه قوياً؛ كان الشغف بالانضمام إلى حضارة الغرب أقوى بين اليهود الألمان من أي شعور بالغضب أو الغضب».

نظراً إلى غياب عمل جامع عن تاريخ الصهيونية-المسيحية، يحاول هذا الكتاب بالتالي تحقيق فهم شامل لظاهرة الصهيونية المسيحية، يأخذ تاريخها وعلم اللاهوت والسياسة على محمل الجدّ، من خلال فحص صعودها في أعقاب الإصلاح البروتستانتي، وتتبّع تطورها وتغيّراتها بمرور الوقت، وتقويم تأثيرها في العالم الحديث. نهجُ الكاتب المستخدم ترتيب زمني يبدأ بالمواد الكتابية، الكنيسة الأولى، ثم ينتقل إلى العصور الوسطى ثم الإصلاح، لكنه يركز بعد ذلك على التطورات في إنكلترا البروتستانتية، وأميركا الاستعمارية، والإنجيلية البريطانية في القرن التاسع عشر، مع إيلاء اهتمام خاص لتأثير التقوى الألمانية. يتعامل القسم الأخير مع الطرق التي تحولت بها الحركة في القرنين العشرين والحادي والعشرين وتتوسع الآن بسرعة في العالم غير الغربي حيث انتقل مركز المسيحية من شمال المحيط الأطلسي إلى الجنوب العالمي.

لكنّ الصهيونية المسيحية واجهت اعتراضات قوية يلخّصها الكاتب في ثلاثة اتجاهات مختلفة: المجموعة الرئيسة الأولى من هؤلاء النقاد هم اللاهوتيون المسيحيون الفلسطينيون، الذين وجدت كتاباتهما دعماً كبيراً بين المسيحيين العرب وبعض الكنائس البريطانية والأميركية الرئيسة. التركيز التنظيمي لهذه المجموعة هو مركز «سبيل» للتحرير المسكوني في القدس.

نشر نعيم عتيق، الكنسي السابق لكاتدرائية القديس جورج الأنغليكانية في القدس، كتابه «العدل وفقط العدل: لاهوت التحرير الفلسطيني» (Justice, and Only Justice: A Palestinian Theology of Liberation) في عام 1989 ويبدأ بتاريخ ماساة عائلته. ولد نعيم عتيق عام 1937، وهو ابن لرجل أعمال أنغليكاني فلسطيني، ونشأ في قرية بيسان العربية التي طردت العصابات الصهيونية سكانها جميعاً وهجّرتهم إلى بيت لحم.

مع أن عتيق بدأ في تطوير لاهوته عن الأرض في الكتاب المقدس، إلا أنّ سرداً أكثر كمالاً ونضجاً يمكن العثور عليه في الفصل الرابع من كتابه «صرخة فلسطينية مسيحية من أجل المصالحة» (2007) بعنوان «الكتاب المقدّس والأرض». محور حجته أنّ هناك لاهوتيات مختلفة للأرض في العهد القديم، وبينما يكون الاعتراف بها مفيداً، من المهم تقدير المسار بعيداً عن الفهم الإقصائي لها، وعلى المسيحيين أخذها في الاعتبار في ضوء العهد الجديد وتصفية روايات العهد القديم «التي تعكس رسالة المسيح الشاملة وغير العنيفة». بذلك، فإنه يقضل سفر يونان باعتباره «معياراً يجب أن يُقاس عليه لاهوت العهد القديم». وهو يعتبر نصوصاً مثل إشعياء 43: 1-4 و62: 6-5 التي تؤكد تفرد يعقوب وإسرائيل «ضيقة وعنصرية» ووجبت تنحيتها جانباً في محاولة «لنزع الصهيونية» من هذه النصوص.

طوّر عتيق فكره عن الأرض وسط إدراك أن القضية الحاسمة في قلب الصراع الفلسطيني الإسرائيلي هي قضية وعود الأرض. لقد كان يطرح قضيته منذ أوائل الثمانينيات، وحجته تتماشى مع الانتقادات البروتستانتية الليبرالية للصهيونية المسيحية. وقد ركّز على نحو خاص على كلمات يسوع في متى 5: 5 «طوبى للوداعاء لأنهم سيرثون الأرض»، ويجادل بأن يسوع المسيح يعبّر عن فهم جديد للأرض حيث «تصبح أرض فلسطين الصغيرة أنموذجاً أولياً أو أنموذجاً للأرض. لقد خلق الله الأرض مسكناً للوداعاء». وفي تفسيره للقاء يسوع مع نثنائيل في يوحنا 1: 43-51، يؤكد أنّ الهدف من إجابة يسوع هو الإشارة إلى أن «ملائكة الله كانوا يصعدون وينزلون ليس على الأرض إكما في تكوين 28: 12- 14]، بل على ابن الإنسان». ويضيف: «من منظور مسيحي، إن الأمر المهم الانتماء إلى ملكوت الله وليس ميراث أرض معيّنة. فلم يعد للأرض أي أهمية في العهد». وقد طوّر حجته من عدة إشارات إلى فقرات في رسائل بولس (رومية 13:4؛ غلاطية 3: 15-18؛ أفسس 2: 19-20). انطلاقاً من هذه الأسس، استند إلى سفر يونان باعتباره «معياراً يجب أن يُقاس عليه لاهوت العهد القديم». وهو يعتبر نصوصاً مثل إشعياء 43: 1-4 و62: 6-5 التي تؤكد تفرد يعقوب وإسرائيل «ضيقة وعنصرية» ووجبت تنحيتها جانباً في محاولة «لنزع الصهيونية» من هذه النصوص.

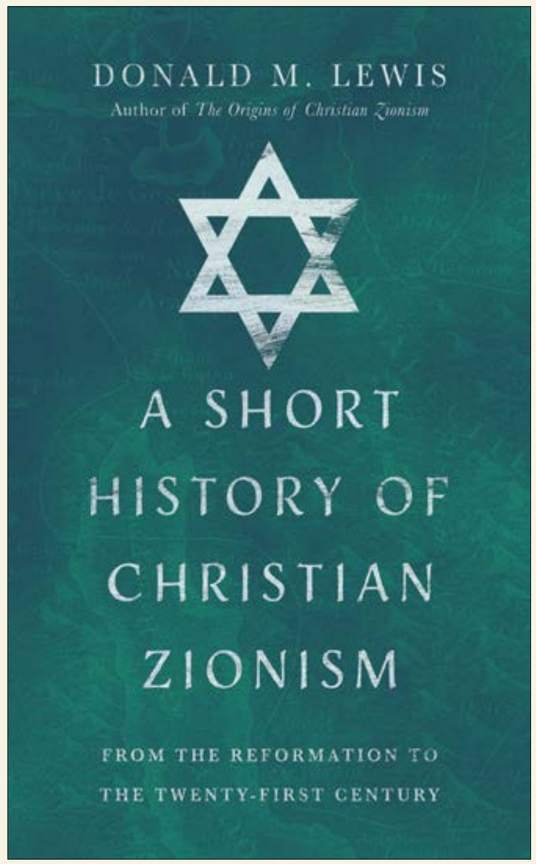

تصدّى لها اللاهوتيون المسيحيون الفلسطينيون

الصهيونية المسيحية الأميركية (خاصة في أشكالها التدبيرية) بين زملائهم الإنجيليين، بدلاً من التأثير في سياسات الاستثمار والمواقف السياسية للكنائس الرئيسية.

تتكوّن المجموعة الثانية من النقاد من المفسّرين الإنجيليين للكتاب المقدس الذين كانوا يشكّكون في الأساس الكتابي للصهيونية المسيحية. من الممكن فقط تسليط الضوء على عدد قليل من العلماء الأكثر نفوذاً في هذا الاستطلاع.

اعتمد عتيق على كريستوفر جي إتش رايت في صياغته لاهوت الأرض. حصل رايت على الدكتوراه في كامبريدج عن الأخلاق الاقتصادية للعهد القديم. استند كتابه الأول إلى أطروحته «شعب الله في أرض الله: العائلة والأرض والملكية في العهد القديم» (1990). أصبح رايت مؤثراً رئيساً دفع كثيرين إلى إعادة التفكير في الصهيونية المسيحية. كان رايت صديقاً مقرّباً وشريكاً للراحل جون ار دبليو ستوت (يمكن القول إنه أحد أكثر الإنجيليين نفوذاً في العالم خلال نصف القرن الماضي). أصبح رايت مدير International Ministries Director of the (Langham Partnership International التي أسّسها ستوت في عام 2001، وقد منحته دوراً مهماً في التبشير العالمي. يعارض كل من ستوت ورايت بشدة الصهيونية المسيحية.

يمكن القول إنّ أشهر العلماء الإنجيليين الذين شكّكوا في الصهيونية المسيحية هو إن تي رايت (Nicholas Thomas Wright) الذي جادل بأن بركات العهد الإسرائيلي قد تم نقلها إلى الكنيسة المسيحية ككل؛ فالمسيح هو نفسه إسرائيل الجديدة، والذين «في المسيح/ in Christ» يشكلون إسرائيل الجديدة. هكذا تم محو العلامات القديمة للهُوية اليهودية أو عولتها. وهو يرى أنه من خلال الملكية الداودية (المسيح)، تم تعميم وعود «العالم كله» الواردة في مزمور 2 ومزمور 72 دعاً لحجة بولس الرسول في رومية 4 ومرة أخرى في رومية 8 بأن المؤمنين يجب أن «يرثوا العالم»، حيث لم تعد الأرض بحد ذاتها ما سيتم توريثها، بل الخليقة المتجدّدة بأكملها. كما جادل رايت على نحو أكثر وضوحاً: لا يمكن ولا يجب أن يكون هناك لاهوت «مسيحي» لـ «الأماكن المقدّسة» (على غرار أو تشبيه «الأماكن المقدسة» لدين له أساس جغرافي أساساً) ، أي أكثر مما يمكن أن يوجد أن يكون لاهوتاً «مسيحياً» يقوم على التفوق العنصري على أنموذج أو تشبيه لدين له أساس عرقي أساس. إلى هذا الحد، فإن «الصهيونية المسيحية» هي المعادل الجغرافي للفصل العنصري «المسيحي» المنفصل، ويجب رفضها على هذا النحو.

ينهي الكاتب عمله المهم بتأملات: تطرق هذا المؤلف إلى العديد من الحركات ووجهات النظر المعقّدة والمثيرة للجدل التي يصعب تتبّعها وفهمها. تتمتع هذه الحركات بجاذبية شعبية قوية للعديد من الدوائر المتنوعة في جميع أنحاء العالم ولها أهمية كبيرة، إذ تؤثر في العلاقات اليهودية المسيحية، والسياسة الدولية، والعلاقات بين المسلمين والمسيحيين، والقائمة تطول وتطول. من نواح كثيرة، تعتبر الصهيونية المسيحية حركة معاكسة للثقافة بشكل عميق لأنها ترفع الاهتمامات الدينية إلى الساحة العامة بطرق تتعارض مع الأنماط المتوقّعة للمجتمع العلماني، ذلك غالباً ما يجعل الناس غير مرتاحين وليس فقط المسيحيين، ولكن أيضاً اليهود والعلمانيين. وقد جادل هذا المؤلّف بأنه إذا كان يجب أن يؤخذ على محمل الجد، يحتاج المرء إلى الانتباه إلى اللاهوت والديناميكيات الثقافية التي تُعلّمه وتلهمه.

* A Short History of Christian Zionism. i.v.p academic (2020). extent: 496 pages. donald m. lewis

أوراق

نقش الملك النجاشي أصحمة في أثيوبيا

زكريا محمد *

في عام 2011، نشر كلّ من وولبر سميت وحجاج راشدي Wollber G.C. SMIDT and M. Haggag RASHIDY نقشاً يذكر اسم الملك النجاشي «أصحمه»، الشهير جداً في التقليد الإسلامي، في ورقة لهما بعنوان: «نقش عربي آخر في طريق التجارة الشرقي الثالث في تيغراي: ملك الحبشة في نجاش» (1). النقش موجود في قرية نجاش في إقليم تيغراي الإثيوبي، التي تبعد 30 كلم عن مدينة وُرقو Wuqro. وهو في مكان ما من الضريح الذي يعتقد أنّه مكرّس للملك أصحمه ولاثني عشرة من صحابة الرسول المسلمين الذين هاجروا هرباً من اضطهاد وثنيّي مكة في بدايات الإسلام، ولجأوا إلى أرض هذا الملك الذي لا يُظلم عنده أحد حسب قول التقليد الإسلامي. وبسبب ذلك، كان هذا الضريح مكاناً لاحتفال سنوي مهم ظل حياً حتى القرن التاسع عشر.

والغريب أنّ نشر النقش لم يثر الاهتمام الكافي. وربما يعود ذلك إلى أنّ قراءة الناشرين للنقش تعاني من مشاكل تجعلها غامضة إلى حد بعيد.

نقش الملك النجاشي أصحمه

ويجب القول إنّ المعلومات التي قدّمها لنا الناشران عن النقش ضئيلة، وأنها جاءت نقلاً عن ألسنة بعض السكان المحليّين في المنطقة. تقول هذه المعلومات: «إن حجر النقش محفوظ في الضريح الذي يخص الصحابة الـ 12 للنبي محمد وأنه موجود في ساحة إمام مسجد (مسجد الإمام) (سميت وراشدي، صفحة 124). وقد لاحظ الناشران أن النقش مكتوب بشكل سيّء إذا قورن بـ «نقش ورقو» الذي يُعتقد أنه من القرن العاشر الميلادي.

نقش ورقو

ومقارنة بنقوش من خارج إثيوبيا، فإن النقش يعود إلى فترة بين القرنين 12-13 ميلادية، حسب الناشرين. ومن وجهة نظري، فإن هناك بعض الإشارات في النقش قد تدفع بتاريخه إلى الوراء فترة لا بأس بها. على أي حال، فأدناه في الصورة قراءة الناشرين للنقش.

The inscripeion reads:
هنا قبر ملك الحبشة
سيد أصحمة توفي
من هجرية سنة 9
في شهر ...
... الشهداء

hunā qabr malik al-Habaša
sayid Aṣḥama tawaffiya
min hiǧriya sanat 9 (tis' a)
fī šahr ...
... al-šuhadā'

This (here) is the grave of the king of Abyssinia[7],
the lord *Aṣḥama*.[8] He died in
the year 9 of the *Hijra*[9]
in the month ...[10]
the martyrs[11]

كما نلحظ، فإن هذه القراءة توحي بوجود مشاكل جدية فيها. فكيف يمكن أن تأتي كلمة «سيد» بعد كلمة «ملك» مثلاً؟ كذلك، فإن الجملة «توفي من هجرية سنة 9» تبدو غير سليمة. وعلى أي حال، فقد قدم الناشران قراءتهما على أنها قراءة أولية. وهو ما يعني أنهما كانا يدركان إمكانية تعديلها.

ولنبدأ بقراءة النقش سطراً سطراً.

السطر الأول

قرأ الناشران الكلمات الثلاث الأولى بشكل سليم «هنا قبر ملك...». لكنهما فهما كلمة «هنا» على أنها تعني «هذا» this بينما هي تشير في الحقيقة إلى المكان وليس إلى القبر. بذا فالاحتمال الأفضل أن نقرأ كلمة «قبر» بصيغة المبني للمجهول «قُبِر». وسياق النص يدعم هذا كما سنرى.

أما الكلمة الأخيرة في السطر، فقد قرأها الناشران هكذا «الحبشة». وهذه قراءة خاطئة بكل تأكيد. فما لدينا هو الأحرف التالية: «الن...». ويبدو أن هناك حرفين هما جيم وألف قد ضاعا مع الكسر في طرف السطر. أي أن الحروف في الأصل كانت هكذا: «النجا». وهذا جزء من كلمة ستكتمل في السطر الثاني.

السطر الثاني

قرأ الناشران الحروف الأولى في هذا السطر على أنها «سيد». ولكنّ الحقيقة أنّ ما لدينا هو الحروف: «شيين». وهي حروف تكمل الكلمة التي بدأت في السطر السابق. بذا، فمجموعة الحروف في السطرين تقرأ هكذا: «النجاشيين». عليه، فالملك يوصف بأنه «ملك النجاشيين». إنه ملك لمجتمع يدعى «النجاشيين». وهذا اللقب لم يرد في المصادر الإسلامية، التي كانت تدعو الملك وحده بالنجاشي.

ومن الواضح أنّ الاسم على علاقة باسم القرية «نجاش». لكننا لا ندري إن كانت القرية قد أخذت اسمها من جماعة تدعى «النجاشيين» أو أنّ المجموعة هي التي أخذت اسمها من اسم القرية. ومن الواضح أن الاسم بهذه الصيغة يفتح ملف أصحمة النجاشي من جديد.

الكلمة التي تلي هي اسم الملك «أصحما»، الذي ورد في الرواية الإسلامية بصيغة «أصحمه».

أما الكلمة التي تلي الاسم، فقد قرئت هكذا «توفي». لكن الحقيقة أن الموجود في نهاية السطر هو حرفان يُقرآن هكذا: «بز». وهما جزء من كلمة تكتمل في السطر التالي.

السطر الثالث

قرأ الناشران الكلمتين الأولى والثانية هكذا: «من هجرية»، وهذه قراءة غير سليمة. فـ«من» جزء من كلمة «بزمن» المقسومة بين السطرين الثاني والثالث.

بعد ذلك، يأتي الرقم (9)، وهو يقرأ بعد كلمة «بزمن»، رغم أنه وضع فوق الكلمة التالية «هجرية» التي قرأها الناشران بشكل صحيح.

بناء عليه، فالنص يقول حتى الآن:

«هنا قُبِر ملك النجا
شيين أصحما بز
من 9 هجرية»

بالتالي، فالنقش يؤرّخ دفن الملك النجاشي بالسنة التاسعة للهجرة. وهو بذلك يحدّد لنا تاريخ وفاته. ومعروف أنّ النجاشي توفي في حياة الرسول، وأنّ الرسول صلى عليه صلاة الغائب.

السطر الرابع

هذا السطر هو الأهم ربما، لأنه يعطينا في ما يبدو لمحة ما عن معتقدات النجاشيين. وقد قرأ الناشران السطر هكذا: «في شهر». أما قراءة الكلمة الأولى «في» فسليمة. لكن قراءة الكلمة الثانية خاطئة. فهناك تاء مربوطة واضحة في آخر الكلمة. بالتالي لا يمكنها أن تُقرأ «شهر». بل إنه من الصعب حتى أن تكون بالشين. لذا نقترح أنّها: «سهرة». وهناك بعدها كلمة ثالثة لم يبصرها الناشران. وهي في الحقيقة واضحة، وتقرأ هكذا: «الحق».

بناء عليه، فلدينا الجملة التالية: «في سهرة الحق». والكلمة الوسطى في الجملة غامضة كما نرى.

السطر الخامس

وفيه كلمة واحدة قرأها الناشران هكذا: «الشهداء» وهي قراءة خاطئة. فالكلمة تُقرأ هكذا: «نجاش». أي أنها تذكر اسم القرية التي يوجد النقش فيها. بناء عليه، يمكن الافتراض أنّ «نجاش» كانت في السابق مدينة مهمة، وأنها كانت في ما يبدو مركزاً لمملكة ولمجتمع أخذ اسمه من اسمها في ما يبدو: النجاشيين.

إذن، فالسطران الأخيران يقولان: «في سهرة الحق نجاش». ونحن لا نعرف بالضبط معنى كلمة «سهرة» هنا. لكن يبدو أن الجملة تحمل وصفاً دينياً للمدينة. ومن المحتمل أنّ كلمة «سهرة» على علاقة بكلمة «الساهرة» في سورة النازعات في القرآن: «فإذا هم بالساهرة» (النازعات 14). وهي كلمة غامضة هنا أيضاً، ومختلف على معناها. وإذا صحّ أننا مع نفس الكلمة، فإن الكلمة في النقش تكون مكتوبة من دون الألف. أي أن علينا أن نقرأها هكذا: «الساهرة»، وهي كلمة ذات طابع ديني كما هو واضح. وتبعاً لبيت من شعر أمية بن أبي الصلت، يبدو أن الكلمة تطلق على مقر ملك ذي طابع ديني:

مَلِكٌ بساهرةٍ إذا
تُلْقَى نَمارقُه وَكوبُه

أما في القواميس، فيقال إن الساهرة: «أرض لم توطأ، أو هي أرض يجدا الله يوم القيامة. وقال ابن السيد في الفرق: وقيل: هي أرض لم يعص الله عليها. وقيل: الساهرة: جبل بالقدس. قاله وهب بن منبه. وفي عبارة ابن السيد: أرض بيت المقدس. وقيل: الساهرة: جهنم» (الزبيدي، تاج العروس). أما ربط الساهرة بالقدس، فما زال هناك باب في القدس يدعى: «باب الساهرة». وإذا استثنينا حكاية جهنم، فكل شيء يوحي بأن الساهرة أرض دينيّة. وهو ما يوحي به نص النقش. بذا فنجاش توصف أنها «ساهرة الحق». وهو لقب ديني، وإن كنا لا نعرف معناه بدقة.

بناء عليه، فالنقش كله يقول:

«هنا قُبِر ملك النجا
شيين أصحما بز
من 9 هجرية
في سهرة الحق
نجاش

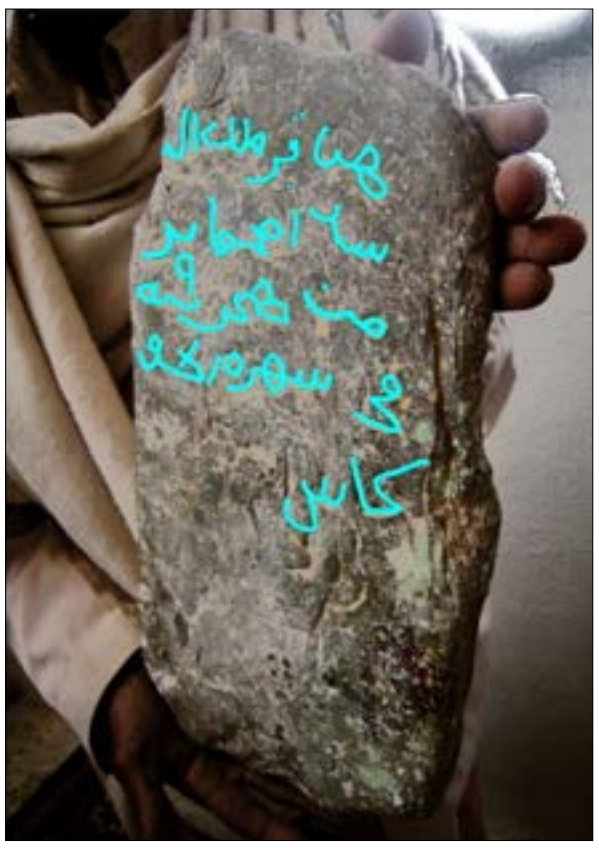

وبناء على هذه القراءة فإن النقش يريد أن يخبرنا أنّ أصحماً، ملك النجاشيين، قد قُبِرَ في مدينة نجاش، التي توصف بأنها «ساهرة الحق»، أي مدينة الحق ربما، في السنة التاسعة للهجرة. بذا يجب قراءة الكلمة الثانية في السطر الأول على أنها «قُبِرَ»، بصيغة المبني للمجهول.

نستخلص من هذا أن النقش غير إسلامي الطابع في غالب الأمر، حتى وإن كان كتب لجمهور عربي أو مسلم يعرف شيئاً من العربية، يقدّس هذا المكان ويحجّ إليه. يدل على هذا جملة «ساهرة الحق» لوصف نجاش. فهذه جملة لا تتوافق مع المعتقد الإسلامي. إنها جملة كتبها شخص يؤمن بالنجاشي وبمذهبه وبمدينته المقدسة. كما نستخلص أيضاً أن النجاشي لم يكن ملكاً لإثيوبيا، بل كان ملكاً لمملكة في تيغراي الحالية. وأغلب الظن أنها لم تكن مملكة كبيرة. ويبدو أنها كانت مملكة مسيحية لها طابعها الخاص، وتمثل تياراً خاصاً، ربما كانت له وشائج مع الإسلام في بواكيره.

وعلى كل حال، فإن هذه استخلاصات أولية. وربما أدى إلى دراسة النقش بشكل أعماق إلى الحصول على استخلاصات أخرى.

* شاعر فلسطيني

1) Another Arabic inscription from the eastern Tigrayan trade route (III): the malik al-Habasha in Negash
https://www.academia.edu/25878364/Another_Arabic_inscription_from_the_eastern_Tigrayan_trade_route_III_the_malik_al-Habasha_in_Negash